



الصوت اللغوي وأثره في البيان العربي والقرآني

الدكتور
حيدر علي نعمة
الجامعة العراقية - كلية الآداب



*The linguistic voice and its impact in the
Arabic and Qur'anic statement Summary*

*Dr.
Haider Ali Nima*



ملخص البحث

تناول البحث طائفةً مهمة من المظاهر والتلوينات الصوتية، ووقف على أثرها في البيان العربي والإعجاز القرآني؛ بدءاً بالصوت اللغوي، ومروراً بالكلمة المفردة، وأنتهاءً بالجملة والتركيب برؤيته.. ومن هنا؛ فقد أقتضت طبيعة البحث ومنهجيته أن يقوم على خمسة مباحث، تناول الأوّل منها جانباً من البُعد الصّوتيّ لبعض الألفاظ العربية والقرآنية وما أحدثه من آثارٍ معنوية.. في حين جاء المبحث الثاني بعنوان: «تحليل البنى الصرفية لطائفةٍ من الألفاظ العربية والقرآنية وتفكيكها، وأثر ذلك في تجميع التركيبة الصوتية وأستيعاب دلالتها».. وعقدتُ المبحث الثالث لاستعراض بعض التلوينات الصوتية وموسيقى الألفاظ المفردة ورَجَع أصدائها على رَسْم الأحداث وتصوير المشاهد.. في حين ضربتُ في المبحث الرابع نماذج مُنتقاة لطائفةٍ من الأحرف المجرّدة والمقاطع الصوتية وما تبعته في النفس من إيجاء عميق، وعرّجتُ في المبحث الخامس والأخير على بعض المظاهر الصوتية وأثرها في البيان اللغويّ والقرآنيّ، وجاءت عَقِبَ ذلك خاتمةُ البحث لتكتنف أهمّ النتائج التي توصلتُ إليها، يتلوها ثبتُّ بأهمّ المصادر والمراجع التي أفدتُ منها في إثراء المادّة العلمية للبحث.

Abstract

The research dealt with an important task of the manifestations and colorful illustrations and showed the impact of the Arabic statement and the Quranic miracles starting with the voice of language ‘Through the single word ‘The wholesale and the whole installation ‘and from here .. The nature of the research and its methodology required that the research would be based on five questions ‘The first is about the aspect of the vocal dimension of some of the Arabic and Quranic words and the consequent moral effects.. While the second topic is titled: ((Analyzing and deconstructing the morphological structures of a range of Arabic and Qur’anic utterances ‘And the effect of this in the compilation of the sound structure and its significance)). The third section was held to review some of the vocal and individual vocalizations, and their reverberations were based on the drawing of events and scenes.. While in the fourth section a selected pattern of a range of abstract characters was struck And the soundtrack and what it sends in the abyss of deep inspiration ‘And i spoke in the fifth section and the delay of some of the vocal manifestations and impact in the linguistic and Qur’anic statement, Then came the conclusion of the research to summarize the most important findings ‘The following is a list of the sources and references to which I have benefited in enriching the scientific material for research.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

وبعد..

فمما هو مُسَلَّمٌ به أن كلَّ ما يجري في هذا الكون إنما يكون على وفق ما تقتضيه حكمة الباري ﷻ، وهو أعلم بحكمته، ومن مكامن تلك الحكمة البالغة أن أتخذ الإسلام العربية لساناً له، فإذا كان الإيمان به هداية ونوراً؛ كان الإسلام من ذلك النور طبيعته وحقيقته، وكانت العربية منه المظهر الذي تراه العيون، والصوت الذي تسمعه الآذان، والمسرّب الذي يسلك به إلى القلوب والأذهان..

وإذا كان لزاماً علينا أن نبحت في سرِّ هذا الاختيار الحكيم؛ فإننا نستطيع أن نتلمس أهم الأسباب الظاهرة التي تُبين الحكمة في اختيار لغة العرب لغةً للشريعة الإسلامية الغراء العامة الشاملة، ولعلَّ من أبرز مكامن تلك الحكمة: تفردها بجملة من الخصائص النفيسة التي شرفت بها، وعلا شأنها، وبلغت من السُموق شأواً لا تدانيها فيه أية لغةٍ أخرى؛ من تلك الخصائص: ما أمتازت به من جوانب وتلوينات صوتية فريدة..

لقد تعددت وجوه إعجاز هذا الكتاب الكريم الذي لا تنفسي عجايبه ولا يخلق على كثرة الردِّ، مثلما تعددت هداياته التي لا تنضب.. وشكَّلت «المظاهر الصوتية» لوناً بهياً من ألوان ذلك الإعجاز الأزلي، كما كانت - وستبقى - رافداً مدراراً وعيناً نضاًخة ومصدراً رئيساً من مصادر الفهم القرآني والدَّرس اللغوي على حدِّ سواء، وتبوأَت من بين أجدانها من الظواهر والعلوم العديدة الأخرى مكاناً سامقاً ومكانة عليّة..

ف«التلوينات الصوتية» واحدة من أسخى منابع العطاء الثرِّ لتلك اللغة، ودراستي هذه ستسلط الضوء ساطعاً على ما لتلك الظاهرة الخلاقية من طاقةٍ وأقتدارٍ على رقد مفردات اللغة الكريمة والقرآن المجيد بفيضٍ سخّيٍّ من المعاني المكنونة..

ولمَّا تُمَثِّله تلك المظاهر والتلوينات - بما أتخذته من أنماطٍ مُتعدِّدة: بدءاً بالصوت اللغوي، ومروراً بالكلمة المفردة، وأنتهاءً بالجملة والتركيب برُمَّته - من أهميةٍ بالغةٍ أسهمت إسهاماً فاعلاً في دفع عجلة علوم اللغة والتفسير على حدِّ سواءٍ قدماً خطواتٍ حثيثةً إلى الأمام؛ فلا غرو أن ينبري لها علماء الأمة، وأن يُشمروا عن سواعدهم تحديداً لملاحتها، وبحثاً لقواعدها،

ودراسةً لعلومها، وتبويماً لشواردها، وأستقصاءً لشواهدها.. وهي - زيادةً على ما تقدّم - ظاهرةٌ نجدُ مسائلها وقضاياها مُتداولةً ومُتأرجحةً بين كلِّ من علماء اللغة وأئمة التفسير قدامئهم ومُحدثيهم على حدِّ سواء، وتُلفي دلائلها ماثورة هنا وهناك في أنحاء شتى من أبحاثهم وكتاباتهم؛ فاستمسك كلُّ من الفريقين منها بطرفٍ وثيق، وتوسّطَ الجُمعين علماء التجويد من المعنّيين بيان أحكام الكتاب العزيز وحكمه المتعلّقة بهذا الجانب الجليل..

وأراني وسط تلك المراسيم المهيبة التي أقامها علماءنا الأفاضل وأساتذتنا الأجلّاء لهذا العلم البهيمٍ مُحوجاً لأن أدلّو دلوي؛ لأستخرج ما تسئى لي وتيسر من معين هذا العلم المخزون، وبيان أثره البالغ في علم اللغة العربية في ضوء ما جادت به آيات الذكر الحكيم من منابع رقراقة وروافد دقاقة لا تعرف للتّعديد عدداً ولا للحدّ حدداً..

ومن هنا؛ فقد اقتضت طبيعة هذا البحث ومنهجيته أن يقوم على خمسة مباحث، تناول الأوّل منها جانباً للبعد الصوّتيّ لبعض الألفاظ العربية والقرآنية وما أحدثه من آثارٍ معنوية.. في حين جاء المبحث الثاني بعنوان: «تحليل البنى الصرفية لطائفة من الألفاظ العربية والقرآنية وتفكيكها وأثر ذلك في تجميع التركيبة الصوّتية وأستيحاء دلالتها».. وعقدتُ المبحث الثالث لأستعرض فيه بعض التلوينات الصوّتية وموسيقى الألفاظ المفردة ورَجَع أصداثها على رَسَم الأحداث وتصوير المشاهد.. في حين ضربتُ في المبحث الرابع نماذج مُختارة لطائفة من الأحرف المُجرّدة والمقاطع الصوّتية وما تبعته في النفس من إيحاء عميق، وعرّجتُ في المبحث الخامس والأخير على بعض المظاهر الصوّتية وأثرها في البيان اللغويّ والقرآنيّ، وجاءت عَقَبَ ذلك خاتمة البحث لتكتنف أهمّ النتائج التي توصلتُ إليها، يتلوها ثبتُ بأهمّ المصادر والمراجع التي أفدتُ منها في إثراء المادّة العلمية للبحث.. فأقولُ وبالله التوفيق وعليه التُّكلان:

المبحث الأول

البُعد الصوتي لبعض الألفاظ العربية والقرآنية وما أحدثه من آثار معنوية

لا بد لنا - في البدء - من معرفة أنّ للرموز أهمية بالغة في حياة البشر، واللغة إحدى هذه الرموز؛ ذلك أنّ وسائل الاستدلال في الوجود كثيرة؛ فقد تكون إشارات، أو علامات، أو رموزاً مخطوطة، أو صوراً مرسومة، وقد تكون تغيّرات تطرأ على شكل الإنسان ولونه ونبرة صوته ومستوى تلك النبرة ارتفاعاً وانخفاضاً؛ فتدلُّ على حالته النفسية والانفعالية.. واللغة أهمُّ هذه الدوالِّ وأكثرها إيجاءً..

وقد منَّ الله ﷻ على بني الإنسان وكرّمهم بنعمة القدرة على إنتاج وحدات صوتية دالة وموحية، يُعبّرون بها عن أغراضهم وحاجاتهم، فسَمَوْا بهذه القدرة على مخلوقات الكون كافة.. فاللغة الإنسانية هي: ((أصوات يُعبّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم))^(١)؛ ولكنها ليست أصواتاً مفردة متناثرة؛ بل هي أصواتٌ مُركّبة دالة؛ لأنَّ الصّوت المفرد مُبهمٌ لا يُؤدّي وظيفة إبلاغية إلا باتتلافه مع أصواتٍ أُخرى، وتكوين مجموعات صوتية دالة؛ هي الكلمات التي ينشأ منها الكلام^(٢)..

وكذا فإنَّ ((الحروف الهجائية إليها تُحلَّل الكلمات اللغوية، فما من لغة في الأرض إلا وأرجعها أهلها إلى حروفها الأصلية، سواءً أكانت اللغة العربية أم اللغات الأعجمية، شرقية وغربية؛ فلا صرْف، ولا إملاء، ولا اشتقاق.. إلا بتحليل الكلمات إلى حروفها، ولا سبيل لتعليم لغة وفهمها إلا بتحليلها، وهذا هو القانون المسنون في سائر العلوم والفنون))^(٣)..

و((العربية - من بين سائر اللغات الإنسانية - لغةٌ كاملة، مُحبّبة، عجيبة، تكاد تُصوّر ألفاظها مشاهد الطبيعة، وتُمثّل كلماتها خطرات النفوس، وتكاد تتجلّى معانيها في أجراس الألفاظ، كأنما كلماتها خطوات الضمير ونبضات القلوب ونبرات الحياة... وللأصوات (phonetics, Phonology) في اللغة العربية وظائفٌ بيانية وقيم تعبيرية؛ فالغين - مثلاً - تفيد معنى الاستتار والغيبة والخفاء؛ كما نلاحظ في: «غ ا ب»، و«غ ا ر»، و«غ ا ص»، و«غ ا ل»، و«غ ا م»... الخ^(٤).. والجيم تفيد معنى الجمع؛ كما نلاحظ في: و«ج م ع»، و«ج م ل»، و«ج م د»، و«ج م ر»... وهكذا))^(٥)..

هذا، وتفيد الفاء معاني الحفر والشقّ والفصل والقطع؛ كما في المواد: «ف أس»، و«ف أى»، و«ف أر»، و«ف ث غ»، و«ف د غ»، و«ف رخ»، و«ف ط م»، و«ف ق ر»، و«ف ل ح»، و«ف ل ع»، و«ف ل ق».. أو تفيد معاني الانفراج والتوسع والتنحية والتباعد؛ كما في المواد: «ف ت ح»، و«ف ج أ»، و«ف ر ت»، و«ف ر ث»، و«ف ر ج»، و«ف ر ح»، و«ف ر د»، و«ف ر ز»، و«ف ر س»، و«ف ر ش خ»، و«ف ر ص»، و«ف ر ض»، و«ف ر ط»، و«ف ر ع»، و«ف ر غ»، و«ف ر ق»، و«ف ر ك»، و«ف ر م»، و«ف ر ه»، و«ف ر ي»، و«ف س ح»، و«ف س ق»، و«ف غ ر»، و«ف ق ص»، و«ف ل ك»، و«ف م م».. أو تفيد معاني البعثرة والتشتت والتفرّق والانتشار؛ كما في المواد: «ف ا ج»، و«ف و ح»، و«ف ا ع»، و«ف ر ش»، و«ف ش غ»، و«ف ش ل»، و«ف ش ي»^(٦)..

كما تفيد الحاء معاني الإحاطة والشمول والضّم والاحتواء؛ كما في المواد: «ح ا ز»، و«ح ا ط»، و«ح ا ق»، و«ح ا م»، و«ح ب س»، و«ح ج ر»، و«ح ج ز»، و«ح د ق»، و«ح ص ر»، و«ح ض ن»، و«ح ظ ر»، و«ح ف ل»، و«ح م ي»، و«ح و ي»... الخ^(٧).. ((ومن اختلاف تركيبات المقاطع الصوتية حدثت الدلائل الكلامية والعبارات اللغوية))^(٨)..

وكذا، فإنّ معاني ((... الرقة والليونة والملمس الدافئ الوثير في صوت الثاء، والخشونة والحرارة والفعالية في صوت الذال .. وهكذا؛ فإنّ تقارب الحروف في مخارجها لا يمنحها تقارباً مُماثلاً في إحياءاتها الصوتية، ولا في معانيها؛ فالحرف الشقيق إذا حلّ محلّ شقيقه في لفظة ما؛ لا تظلّ اللفظة على معنى مُقاربٍ لمعناها قبل الإبدال؛ وإنما قد يُؤدّي ذلك إلى التناقض في معانيهما أحياناً كثيرة؛ كما في حرفي الثاء والذال، وأحرف الخاء والحاء، والباء والميم، والصاد والسين..

... ف«الثاء» إنما هي تأنيقٌ للسين الرقيقة، وتأنيثٌ لثاء التأنيث؛ وكأني بالعربي لم يُبدع صوتَ هذا الحرف إلا خصيصاً للتأنيث؛ لتمييزها بالثاء حتى من النساء أنفسهن؛ إيفاءً لحقها من الرقة والدمائة والإحاطة واللين، فما كلُّ امرأة تتوافر فيها خصائصُ الأنوثة وإن كانت أُنثى!! فلفظة «الأُنثى» إنما هي الصقُّ بالجنس من لفظة «المرأة»، قد قصرت أنوثة الأشياء والكائنات الحية عن أنوثة الجنس في حرف الثاء؛ فأثنتُ بناء التأنيث؛ لتفيض الثاء عليها من خلف هذا الحجاب الشفاف طيف رقةٍ وعاطفة وأنوثة، وتوحي بالبضاضة^(٩) والطرادة

والدَّفء؛ وبذا تستقلُّ الثاء وحدها بعرش الأنوثة في لفظة الأنتى؛ ضمّاً للنون الأنيسة إلى الثاء الأنثوية، لا أمسّ بالنفس حسّاً، ولا أوقع في السمع جرساً..

... ولأنَّ حرف الثاء يُمثّل جنس الأنوثة كإحساس لمسيّ، فضلاً عن أنّ صوت الثاء هو أوحى ما يكون بخصائص الأنوثة رقةً ولطفاً ودفناً؛ فإنَّ العربي قد أستخدم هذا الحرف لإبداع أخصّ المعاني التي تدور حول الجنس مباشرة بلا وسيطٍ من خيال أو تورية أو كناية، ممّا لم يُجاره في هذا الاختصاص أيُّ حرفٍ آخر؛ وذلك كما في لفظة «الأنتى» كتعبيرٍ عن جنس الأنوثة، وكما في لفظة «الرفث» كتعبيرٍ عن الاستمتاع بالأنثى^(١٠)..

... وإذا كانت خصائص الأنوثة قد تجمّعت كلّها في «الثاء»: رقةً ودماثة وحشمة؛ فقد تركّزت في «الذال» كلُّ الذكورة: توثّر صوتٍ، وخشونة ملمس، وشدّة ظهور!! وهكذا تتجاوز الذكورة والأنوثة في اللسان العربيّ مخرج صوتٍ، ويتمثالان في طريقة النطق بهما على ما في صوتيهما من التناقض في الخصائص، وذلك على مثال ما بين الذكورة والأنوثة: رفة عُمرٍ، وتناقض خصائص..

فإذا كانت «الثاء» تُدغدغ طرف اللسان بكثيرٍ من المرونة والدماثة؛ فتُوحى بطعم الدسّم والملمس الدافئ الوثير؛ فإنَّ الذال ألدغ مذاقاً، وأكوى حرارة، وأخذ ملمساً، وأشدُّ توتراً؛ ليشفّ بذلك صوت كلِّ حرفٍ منهما عن خصائص الجنس الذي يُمثّله.. وهكذا تتراءى مفاهيم الجنس في الذكورة والأنوثة كأحاسيس لمسية خلف أستار شفافة من صوتي هذين الحرفين، ولا أوحى منهما بخصائص الأنوثة والذكورة في لغتنا!!^(١١)..

ذلك أنّ ((التُّقاد... لا يبنون أنطباعهم الجماليّ على الصُّورة الصُّوتية للكلمة بمعزلٍ عمّا توحىه من دلالة بديعة؛ بل ينظرون إلى اشتراك اللفظ والمعنى معاً في إحداث صورةٍ دلالية))^(١٢).. ومن هنا ((كان لظاهرة إيجاء الألفاظ بأكثر من دلالتها الظاهرة حضوراً فاعل في النّصّ القرآنيّ وفي القصّة القرآنية، شكّلت هذه الظاهرة قيمةً فنيّة تُشرك المتلقّي في تمثّل الثراء المعنويّ للفظ))^(١٣)..

ومما يثير الانتباه أنّ لفظة «الدِّماغ»؛ بمعنى: حشو الرأس من أعصاب ونحوها، قد جاءت من مادّة «د م غ»؛ بمعنى: الغلبة والحو^(١٤).. إنّ العربي قد عمد إلى تصوير الدِّماغ بأصوات الحروف؛ فالدّال للقساوة، وهي تُضاهي قساوة عظم الجُمجمة، والميم تُضاهي أنجماع

الأعصاب في غلافه داخلها، والغين تُضاهي واقعة خفاء هذه المجموعة العصبية وتواربها عن النظر داخل الجمجمة!!

وهكذا توافقت معاني أسرة اللفظة ومقاطعها الصوتية وإيحاءات حروفها في تمثيل معنى الدمغ ومحاكاته؛ من القوة والصلابة والانجماع والستر^(١٥)!!

وما قيل عن «الفاء»، و«الحاء»، و«الثاء»، و«الدال»، و«الذال»، و«الغين»، و«الميم» يقال أيضاً عن باقي حروف اللغة الثمانية والعشرين في وجود إيحاءات ودلالات وخصائص ينفرد بها كل حرف عن أخذانه حيناً، ويشارك معها في بعضها أحياناً.. وينسحب الحال بديهيّاً وتلقائياً على عامة الألفاظ والتراكيب المتألفة من تلك الحروف والناطقة عنها..

وفي جملة تلك الأمثلة وأمثالها، يقول ابن جنّي رحمه الله: ((فهذا ونحوه أمرٌ إذا أنت أتيته من باب، وأصلحت فكرك لتناوله وتأمّله؛ أعطاك مقادته، وأركبك ذرّوته، وجلا عليك بهجاته ومحاسنه، وإن أنت تناكرته، وقلت: هذا أمرٌ منتشر، ومذهبٌ صعبٌ موعرٌ؛ حرمت نفسك لذّته، وسدّدت عليها باب الحظوة به..

نعم، ومن وراء هذا ما اللّطفُ فيه أظهرُ، والحكمة أعلى وأصنعُ؛ وذلك أنهم قد يُضيفون إلى اختيار الحروف، وتشبيه أصواتها بالأحداث المُعبّر عنها بها: ترتبيها، وتقديم ما يُضاهي أول الحدث، وتأخير ما يُضاهي آخره، وتوسيط ما يُضاهي أوسطه؛ سوقاً للحروف على سَمْت المعنى المقصود والغرض المطلوب؛ وذلك نحو قولهم: «بحث»؛ فالباء لغلظتها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصَحَلها^(١٦) تشبه مخالب الأسد وبرائن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث والبث للتراب.. وهذا أمرٌ تراه محسوساً مُحصلاً.. فأَيُّ شبهة تبقى بعده، أم أيُّ شك يعرض على مثله؟!))^(١٧)..

ومن خلال ما أستعرضناه من الأمثلة، يمكننا الاطمئنانُ إلى حقيقة ملموسة، تعمل من خلالها إيحاءات الحروف وخصائصها ومعانيها دائبةً على ربط البنية الصوتية واللسانية برباطٍ محكم، وبيان علاقتها بالبنية المعنوية والدلالية؛ فإنّ طبيعة الدلالة وهيئتها وماهيتها تعتمد - إلى حدٍّ بعيد - على التحليل الصوتي اللسانيّ لبنية الكلمة، أو الجملة، أو النّص؛ لأنّ تلك الأشياء تُمثّل مدار الأمر كلّه ومناطه في منظومة الاتصال والتفاهم وعملية الإبداع..

لذا عُدَّت دراسةُ الأصوات أوَّل ما ينبغي أن ((يُعنى به دارسُ اللغة إذا ما أراد أن يدرس لغةً ما دراسة علمية صحيحة.. ودراسةُ الأصوات تُتيحُ للدارس أن يقف على طبائع هذه الأصوات وخصائصها حين تتمازج في صور كلمات، ولن يُستغنى عنها؛ لأنها تُفسَّر كثيراً من الظواهر اللغوية التي لولا هذه الدراسة؛ لكان الكلامُ فيها نوعاً من الافتراض لا يقف طويلاً أمام البحث العلمي!!

فالدارسُ الذي يُحاولُ أن يقف على أسرار اللغة ونظمها وظواهرها ستكونُ مُحاولاته عبثاً إن هو أقتصر في دراسته على ما وصل إليه من مُفردات!! فلا بدَّ أن يرجع بالبحث إلى الوراثة ليدرس الأصول التي تتكوَّن منها الكلمات، ويتعرَّف خصائصها وما ينبني عليها من ظواهر.. وليست تلك الأصول التي تتألف منها الكلمات إلا الأصوات اللغوية التي يُعبَّر عنها بـ«حروف الهجاء»..

... فإذا ما أنتهى الدارسُ من معرفة الأصوات والوقوف على خصائصها مُتمازجة مُتألّفة؛ أنتقل إلى الخطوة الطبيعية التالية؛ وهي دراسة الكلمات؛ فإنَّ ما ينشأ من تمازج الأصوات له دخلٌ كبير في صنع الكلمات والمفردات وأوزانها وتحديد مدلولاتها))^(١٨)، وسيقود ذلك بالتالي إلى فهم البنى الجمليّة والنصّيّة برُمَّتها..

بتلك الدراسة المُعمّقة والمتأنية والتمحيص المُتشدّد للخصائص الصوّتية لحروف العربية، وأستعراض معانيها وأستيحاح دالاتها يُمكننا إعادة ترسيم الحدود، وحصر المُفارقات الدلالية القائمة على أساس سبرٍ عميق لأبنية الألفاظ المُختلفة المُؤلّفة من مجموع أصوات تلك اللغة وأتلافيها؛ لاستكناه حقيقة أبعادها الدلالية؛ إذ إنَّ الوصول إلى حصر سماتٍ تمييزية مُحدّدة بين حرفٍ وآخر من حروف اللغة يشي بوجود ثمة إمكانيّة منهجية لإرساء قواعد علمية تغدو مقاييس ثابتة، ومعايير مُطرّدة، ونماذج متكاملة، وقوالب منتظمة لضبط آليات الأحداث الكلامية من خلال الوقوف على ما يُشكّل أنساقها الصوّتية العامّة التي في وسعها أن تنتظم العناصر الأخرى في الخطاب الإبلاغي العام^(١٩)؛ إذ لا يعدو العمل الأدبيُّ كونه وسيلةً توصيلٍ رمزيّة، تثير معنىً ما من خلال التركيب الصوّتي للكلمة، والصوّت هو وسيط الدلالة، وهو القناة الحاملة للمعنى في عملية التواصل والإبلاغ^(٢٠)..

إن دل ذلك على شيء؛ فإنما يدلُّ على وجود مُناسبة طبيعية بين اللفظ ومدلوله؛ فالألفاظ لم تنفصل عن دلالاتها الصَّوتية في كثير من الأحيان، كما لم تتخلَّ عن المعاني الدالَّة عليها في شتى الوجوه المرتبطة بها عند الإطلاق.. وهذا يعني أنَّ الألفاظ تكتسب دلالتها من جرس أصواتها؛ فينشأ ما يُسمَّى بـ«المناسبة الطبيعية» بين الأصوات والدلالات^(٢١).. كما يعني أنَّ ((معنى الحرف العربي هو صدى صوته في الوجدان، أو النفس))^(٢٢)..

وكان أبو الفتح ابن جني رحمه الله أبلغ من عبَّر عن هذه النظرية اللغوية الفطرية بمقولته الشهيرة: ((إنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المُعبَّر عنها بها: ترتيبها، وتقديم ما يُضاهي أول الحدث، وتأخير ما يُضاهي آخره، وتوسيط ما يُضاهي أوسطه؛ سوقاً للحروف على سَمَت المعنى المقصود والغرض المطلوب))^(٢٣)؛ بمعنى أنَّ العربيَّ كان يضع الحرف الأول بما يُضاهي بداية الحديث، والحرف الوسط بما يُضاهي وسطه، والأخير بما يُضاهي نهايته؛ فكان العربيُّ بذلك يُصوِّر الأحداث والأشياء والحالات بأصوات حروفه..

وبعبارةٍ أخرى؛ فإنَّ معنى كلِّ لفظة هو - في الأغلب - مُحصَّلة خصائص أصوات الحروف؛ أي معانيها.. ومن قوانين اللغة العربية أنَّ الحرف القويَّ يضعف تأثيره في معاني المصادر عندما يقع في نهايتها؛ لتسلُّط الحروف التي تقع في مُقدِّمتها!! إنه لأمرٌ عجيب أن يكون لذلك العربيُّ الضارب في مجاهل الأرض والتاريخ هذه الحسَّاسية السمعية والذوقية في التمييز بين مٌوحيات صوت الحرف الواحد تبعاً لموقعه من اللفظة بمعرض التعبير عن معانيه^(٢٤)!!

ويؤيِّد ذلك ما ذهب إليه الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله من أنَّ ((في الكلمة العربية مُوسيقى باطنية عفوية بلا تصنُّع، قوامها التوافقُ الفطريُّ بين خصائص أحرفها وبين ما تدلُّ عليه من المعاني إجماءً، أو إيماءً... فما أن تُشَدَّ الكلمة في الشعر العربي الأصيل، أو تُرثِّل في القرآن الكريم؛ حتى نجد أنَّ خصائص الحروف ومعانيها هي التي تتحكم بمُوسيقاها طواعية ذوق أدبيٍّ رفيع بلا قسر ولا تصنُّع))^(٢٥)!! ((ولا غرو؛ فالشعراء هم الذين موسقوا الكلمة العربية طوال مراحل نشأتها بإنشادها في أهزاجهم وقصائدهم؛ فشحناوا أحرفها بشئى الأَحاسيس والانفعالات؛ لتتحوَّل بذلك إلى تفعيلةٍ مُوسقةٍ جاهزة للدخول في شئى الأوزان، ومهيأة للتداول في شئى القوافي؛ للتعبير عن شئى المعاني بلا موسقة مُصطنعة))^(٢٦)!!

فبعد أن أهتدى العربيُّ إلى أصوات حروفه ومعانيها؛ بقي على فطرته البدوية يتقمَّص الأشياء والأحداث؛ لاستشفاف خصائصها الذاتية.. وهكذا أخذ - شيئاً فشيئاً - ينتقي الحروف التي تتلاءم إيجاءاتها الصوتية مع تلك الخصائص؛ ولكن على وفق ترتيب مُعَيَّن يُماثل تراكيب الأشياء، أو يُوافق حركاتها الإيمائية، ويُحاكيها برقصات صوتية بارعة لا تُوحى بمعناها الأصيل فحَسْبُ؛ وإنما تُجسِّده أيضاً بما لا يقدر عليه راقصٌ ولا مُمَثِّلٌ أو فَنَّانٌ^(٢٧)!!

وهذا ما عناه عملاقُ العربية وعلم الأصوات: أبو الفتح ابن جني رحمه الله حين طفق يشرح لنا قاعدته الذهبية: «تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني»^(٢٨)؛ أي: تقارب الأصوات لتقارب المعاني.. فالعربيُّ بعد أن ينتقي الحروف التي تتوافق أصواتها مع ما يروم التَّعبيرَ عنه؛ يقوم بترتيبها في اللفظة على أساس أن يُقدِّم الحرف الذي يُماثل أوَّلَ الحدث، ويضع في وسطها ما يُماثل وسطه، ويُؤخِّر ما يُماثل نهايته؛ وذلك ((سوقاً للحروف على سَمْتِ المعنى المقصود والغرض المطلوب))^(٢٩)!! على أن الحرف القوي يأخذ صوته أقصى إيجاءاته في القوَّة والشدَّة والفعالية والغلظة حينما يقع في أوَّل اللفظة؛ إذ لا بدَّ للصوت أن يشدَّ على أيِّ حرف يقع في أولها أكثر ممَّا يشدُّ عليه في وسطها، ليشدَّ عليه أقلُّ ما يكون الشدُّ في نهايتها.. وهكذا؛ فإنَّ الحروف ذات الأصوات الرقيقة لا بدَّ أن تكون أكثر إيجاءً بالرِّقَّة والأناقة والدمائة وما إليها عندما تقع في نهاية الألفاظ؛ فأصواتها تكون هنا أكثر خفوتاً ورقَّة منها في أيِّ موقعٍ آخر؛ ولهذا السبب بالذات لا بدَّ أن يُختلف تأثيرُ الحرف الواحد - رقيقاً كان أم قوياً - في معاني الألفاظ بحسب موقعه من اللفظة^(٣٠)!!

وإذا كان العربيُّ الفَنَّان قد لجأ فعلاً إلى تقمُّص أشياء العالم الخارجي وظواهره وأحداثه للاهتداء إلى أصوات حروفه ومعانيها بوسيطٍ من مشاعره؛ فلا بدَّ لنا نحن أن نهتدي - بالمقابل - إلى معاني تلك الحروف من خلال تأمل صدى أصواتها في مشاعرنا؛ شريطة أن يتمتع ذلك العربيُّ بأصالةٍ فنية إبداعية، وأن يتمتع نحن بأصالةٍ فنية تذوقية مُوازية.. ومُعجمات اللغة العربية هي الفرقان والفيصل والحكم العدل في هذه القضية، وأخصُّ بالذكر والتنويه منها معجم «مقاييس اللغة»، لفارس اللغة العربية وجُدِّيلها المُحكِّك وعُدِّيُّها المُرجَّب أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني رحمه الله؛ إذ كان ذا عملٍ لا يُبارى، وصاحبَ ابتكارٍ لا يُجارى، وكان ذا فضلٍ لا يتوارى في هذا الباب الجليل^(٣١)..

هذا، ويعدُّ الصَّوْتُ اللغويُّ والكلمة وحدتين أساسيتين في تكوين الكلام؛ إذ تتكوَّن اللغة - أية لغة - من وحدات أساسية؛ هي «الكلمات»، وهذه الأخيرة تُؤلَّفها عناصر أصغر منها، تسمَّى: «الأصوات»، التي يأتلف بعضها ببعض ويتواشج في نسيجٍ كلاميٍّ مُعَبَّرٍ عمَّا يدور في خلد المتكلم من أفكار ومعانٍ.. فاللغة ظاهرة صوتية، الأصلُ فيها أنها نظامٌ من الرُّموز الصَّوتية المنطوقة، وهي - بناءً على ما تقدَّم - ((أصواتٌ في حروفٍ، وحروفٌ في كلماتٍ، وكلماتٌ في جُمَلٍ، وجُمَلٌ في نُحوٍ، ونحوٌ في بيانٍ، والبيانُ وحدة لا تتجزأ))^(٣٢)..

وعلى ما يبدو لأوَّل وهلة من كثرتها؛ لِمَا لها من مُرونةٍ فائقة وقابليات خَلَّاقة على التقلب أثناء عملية النطق والكتابة؛ فإنَّ ((الرُّموز الصَّوتية - الحروف - التي يتعامل بها أبناء الجماعة اللغوية الواحدة محدودة؛ فأكثر اللغات تتعامل كلُّ منها بجوالي ثلاثين رمزاً صوتياً، وتتعامل كلُّ اللغات الإنسانية مُجمعةً بما لا يزيد على خمسين رمزاً صوتياً، لكلِّ لغة منها نصيبٌ.. ولكنَّ هذه الرُّموز المحدودة تُعبَّر في كلِّ لغة من هذه اللغات الكثيرة عن أكثر ما يُريدُ الإنسانُ التَّعبيرَ عنه في كلِّ مجالات الحياة والفكر.. إنها ثلاثون رمزاً تقريباً في كلِّ لغة من اللغات تُكوِّن آلاف الكلمات، ثمَّ ملايين الجُمَل؛ لنقل ملايين الملايين - آلاف المليارات - من المعاني وظلال المعاني.. وتُكوِّن هذه الرُّموز الصَّوتية المحدودة بنية اللغة باتخاذها عدَّة أنساق مُحدَّدة..

لقد عُرِفَت فكرة الارتباط بين اللفظ ومعناه، أو بين الصَّوْت ومدلوله قديماً بين أوساط اللغويين القدماء؛ أمثال الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) الذي تنبَّه إلى وجود علاقة بين الصَّوْت ودلالته حين عرض إلى بيان صوت الجُنْدَب؛ إذ يقول رحمه الله: ((صرَّ الجُنْدَبُ صريراً، وصرصر الأخطب صرصرة؛ فكأنهم توهَّموا في صوت الجُنْدَب مدأً، وتوهَّموا في صوت الأخطب ترجيعاً، ونحو ذلك كثيرٌ مختلف))^(٣٣)؛ وبذا يُقرَّر رحمه الله في نظريته الصَّوتية الرائدة والسَّابقة بأنَّ الألفاظ المُعبَّرة عن أصوات مسموعات إنما هي أصواتٌ مُحاكية للطبيعة^(٣٤)..

كما ألح سيبويه (ت ١٨٠هـ) - عبر الأمثلة التي ضربها لنا في «كتابه» - إلى التناسب بين الأصوات ومدلولاتها؛ وذلك في معرض حديثه عن أوزان المصادر في بحوثه النحوية والصرفية؛ إذ يقول رحمه الله: ((ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني:

قولك: النزوان، والنقران^(٣٥)، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن وأهترازه في ارتفاع... ومثل هذا: الغليان؛ لأنه زعزعة وتحرك.. ومثله الغثيان؛ لأنه تجيش نفسه وتثور^(٣٦)..

وقد تبع كلاً من الخليل وسيبويه فيما ذهباً إليه وقرّاه مُعْظَمُ اللغويين القدماء؛ ولا سيّما ابن جني رحمه الله (ت ٣٩٢هـ) الذي عقد باباً لذلك في كتابه الكبير: «الخصائص»، سمّاه: «باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني»^(٣٧)، وذكر في موضع آخر هذه السمة الدلالية لطبيعة الأصوات، يقول: ((وإنما جُعِلت الألفاظ أدلة على إثبات معانيها))^(٣٨).. وقد توسّع في هذا الجانب؛ معرفته الواسعة، وإمامه الفريد بسعة المباحث الصوتية، وإدراكه لأهميتها في الاهتداء إلى كنه مدلولات ألفاظ اللغة العربية؛ إذ يقول: ((فأما مقابلة الألفاظ بما يُشاكلُ أصواتها من الأحداث؛ فبابٌ عظيم واسع، ونهجٌ مُتَلَبِّبٌ^(٣٩) عند عارفيه مأموم؛ وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المُعَبَّر بها عنها؛ فيعدلونها بها ويجتذون عليها.. وذلك أكثر مما تُقدِّره، وأضعاف ما نستشعره!!

من ذلك: قولهم: «خضم»، و«قضم».. ف«الخضم» لأكل الرطب؛ كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب^(٤٠)، و«القضم» للصلب اليابس؛ نحو: قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك^(٤١).. فاختاروا الخاء - لرخاوتها - للرطب، والقاف - لصلابتها - لليابس، حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث.. ومن ذلك قولهم: «النضح» للماء ونحوه^(٤٢)، و«النضح» أقوى من «النضح»^(٤٣)، قال الله ﷻ: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴾ [سُورَةُ الْحَجَرِ]؛ فجعلوا الخاء - لرققتها - للماء الضعيف، والخاء - لغلظها - لما هو أقوى منه!!^(٤٤)..

ولما كان أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا رحمه الله (ت ٣٩٥هـ) من المعاصرين لابن جني؛ فقد تأثر بمنهجه في معالجته للصلّات بين الألفاظ من حيث جرسها المركّب من أصوات حروفها وبين دلالاتها المعنوية الخاصة؛ فوافانا بتحفة مطرّزة، ونفيسة لغوية فريدة، تعدُّ بحقُّ مناط كلِّ فخرٍ وأعتزاز لكلِّ عربيٍّ غيورٍ على لغته الخالدة، سمّاه بـ«مقاييس اللغة»^(٤٥)..

ومن ذلك أيضاً ممّا ذكره ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ)، التلميذ اللبيب لأبي الفتح: ألفاظ «الفصم» بالفاء الذي هو حرفٌ رخو^(٤٦)، و«القصم» بالقاف الذي هو حرفٌ شديد لكسر الشيء كسراً بليغاً حتى يبين^(٤٧).. وفي «الثلم» الذي هو حرفٌ خفيف للخلل الطفيف غير البين في الجدار^(٤٨)، و«الثلب» الذي هو حرفٌ شديد للخلل البليغ في العرض^(٤٩)، وفي

«الزفير» بالفاء لصوت الحمار^(٥٠)، و«الزئير» بالهمزة الذي هو شديد، لصوت الأسد^(٥١)... وما شاكل ذلك^(٥٢)..

ومنه أيضاً - والأمثلة كثيرة لا يُحصيها العدُّ - ما جاء في قوله ﷺ: ﴿الْتَرَاتْنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُهُمْ أَرْأًا﴾ [سُورَةُ هُرُوقِةٍ]؛ أي: تزعجهم إزعاجاً.. وفي الآية الكريمة دلالة نفسية بينة؛ فإن تُوْزُ الشياطين الكافرين أَرْأًا في معنى أن تُهْزَهُمْ هزاً، وصوت الهمزة أَعْ شقيق، ونظير لصوت الهاء؛ فتقارُبُ اللفظين نابعٌ من تقارُبِ المعنيين، وكأنهم خصُّوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظمُ أثراً في النفوس، وأبلغ في إثارة المشاعر، وأكثر إلهاباً وتهيجاً للعواطف، وأدعى حافزاً في الاجتناب أو القبول من الهز^(٥٣)!!

ومما يُؤشِّرُ في هذا السياق أيضاً: أن أهمَّ ما يلاحظ على ألفاظ علاقة الرَجُلِ بالمرأة في أسلوب القرآن الكريم: الوُعُورَةُ وثقل الألفاظ ذات الدلالة المباشرة على المخالطة والجماع.. في حين أنمازت الألفاظ ذات الدلالة الكنائية باللين والسهولة!! ففي وصف التشكيل الصوتي لتلك الألفاظ يظهر أن ألفاظ الدلالة المباشرة: «نكح»^(٥٤)، و«رفث»^(٥٥)، و«طمث»^(٥٦) تغلب عليها الأصوات المجهورة، أو الشديدة.. أما ألفاظ الكناية: «مس»^(٥٧)، و«باشر»^(٥٨)، و«حرث»^(٥٩)، و«سكن»^(٦٠)، و«لامس»^(٦١)، و«أفضى»^(٦٢)، و«قرب»^(٦٣)، و«لباس»^(٦٤)؛ فتغلب عليها الأصوات المهموسة، وتبدو عليها الرِّشَاقَةُ الصَّوتية والنعومة والتَّفْشِي، ممَّا يتناسب مع اللدَّة البدنية، وعدم الوقوف عندها؛ بل الوصول إلى إشراقاتها الروحية وفيضها العرفاني الساعي إلى تمثُّل العلاقة بين الزوجين تمثُّلاً يُفْضِي إلى وحدة الشعور والفكر والعقيدة والموقف الحياتي اللأحب المتمدِّ!!

وهذا ما تُعزِّزه كثرة توارد الألفاظ التي اختارت طريق اللُّطف في التعبير، بازاء الألفاظ المباشرة؛ إذ استعمل القرآن الكريم ثمانية ألفاظ كنى بها عن الجماع، وكثر تردُّدها في أثناء الآيات الكريمة.. في حين استعمل ثلاثة ألفاظ فقط عبَّرَ بها عنه تعبيراً مباشراً، ووردت في الآيات الكريمة على نطاق محدود^(٦٥)..

مما تقدِّمُ نتبيِّنُ أن بين اللفظ والمعنى علاقةً ما؛ فما يخرُجُ بالصَّوت يدلُّ على ما في النفس؛ وهي التي تُسمَّى: «الأثار»، والتي في النفس تدلُّ على الأمور؛ وهي التي تُسمَّى: «المعاني»..

فمعنى دلالة اللفظ: أن يكون إذا أرتسم في الخيال مسموعُ أسم؛ أرتسم في النفس معنى؛ فتعرف النَّفسُ أنَّ هذا المسموع لهذا المفهوم، فكُلَّمَا أوردته الحسُّ على النَّفس؛ ألتفتت إلى معناه^(٦٦).. وبتعبير آخر أدنى قطاعاً وأقرب منالاً؛ فإنَّ التأليف الصُّوريَّ للفظ يرسم القيمة الدلالية للمعنى الذي يُقابله؛ وإنَّ كان تطبيق ذلك على كلِّ عناصر النظام اللغويِّ أمراً بيِّن الصعوبة والعسر^(٦٧)..

أمَّا اللغويون المحدثون؛ فقد شغلت دراساتهم وأبحاثهم الصَّوتية حيزاً كبيراً في مجوَّهم اللغوية، ولقيت في صفوفهم رواجاً وقبولاً وإقبالاً؛ ولا سيَّما ما يتصل منها بالربط بين الأصوات ومدلولاتها^(٦٨).. هذا، وقد أفتقت نظرة أرباب الدراسات اللغوية الحديثة مع آراء الأقدمين في القدرة الفائقة للحركات - الصَّوات - على توجيه مدلولات الألفاظ على وفق ما يقصده المتكلم.. وفي هذا السياق يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: ((ولعلَّ أفضل ما يُصوِّر علاقة الصَّوات بالحركات في بنية الكلمة أن نقول: إنَّ الصَّوات - وهي مادَّة الكلمة الثابتة - تحمل المعنى الأصلي الذي تدلُّ عليه بمجموعها، وإنَّ الحركات تُشخِّص المعنى حين تُبرِّزه في وضعٍ مُعيَّن.. فهي التي تستقلُّ بتوجيه الدلالة إلى حيث يُريد المتكلم))^(٦٩)..

في ضوء ما تقدَّم من الإثباتات والأدلة التي لا تقبل شكاً ولا تأويلاً، يمكننا الإقرار مطمئنين بحقيقة لغوية بيانية، مفادها أنَّ ((الأصوات اللغوية ليست عناصر مُتناثرة؛ وإنما هي نظامٌ مُنسَّق تحكُّمُه علاقاتٌ خاصَّة في هذه اللغة أو تلك، فهناك قواعد تتجاوز النَّسيجَ المقطعيَّ القائم على توالي الصَّوات والصَّوات، هي التي تُحدِّد ذلك الانسجام))^(٧٠).. وأكثر ما نجد ذلك التناسق الصَّوتيَّ العجيب، وطالما نلمس ذلك الانسجام النَّعْمِيَّ الفريد بأبهى صُوَرِه وأروع حُلِّله في لغتنا العربية المجيدة؛ إذ إنَّ مُفرداتها المُتلازمة والمُتواشجة مبنية - أكثر من سواها - على أصواتٍ مُتناسقةٍ ومُتناغمةٍ ومُنسجمةٍ، يتلاقى جرسُ حروفها مع إيجاء مدلولها، ويُعانقُ الصَّوتُ منها الصَّوتَ حتى نهاية البنية^(٧١).. وتلك ظاهرة مُطرَّدة في عُموم اللغة العربية المبنية، يتيسر ألتماسُها هنا وهناك في بنى ألفاظها ومفاصل تراكيبها، فما بالك بمعجزتها الخالدة وكتابها الأكبر: القرآن الكريم!!

إنَّ الحروف - من حيث هي أصواتٌ لغوية - تحمل طبيعةً نغميةً خاصَّة بكلِّ منها؛ فإنَّ يجد الساجع أنسجاماً مع بعض الحروف دون بعضٍ أمرٌ طبيعيٌّ بالنظر لتلك الطبيعة النَّغْمِيَّة

الخاصة.. ولما كان نقلُ أيِّ صوتٍ من أصوات الحروف من خلال التَّعبير عنه في حقيقة الأمر ومآله طبيعةً نغميةً؛ فمن الطبيعيُّ أن ينسجم مع بعض الأصوات دون بعض، كما تنسجم بعض الأوتار الموسيقية في الآلة الواحدة وتتناغم مع أخرى قريبة منها ومؤتلفة معها في درجة الصَّوت، في حين تُصدرُ جلبة وضجيجاً مع بعضها الآخر ممَّا تنأى فيه تلك الدرجة أو تختلف!! لذا فإنَّ ترتيب حروف اللفظة الواحدة يجب أن يُراعى فيه أنسجامُ حروفها، وأن يكون بناؤها على سَنَنِ من هذا الأساس^(٧٢)..

خلاصة ما تقدّم عبارة موجزة دالة أنَّ الأصوات اللغوية بائتلاف أنغام بعضها إلى بعض تُشكِّل مُفردات اللغة (Semantics)، ويتألفها ثمثُّ الكلام في تلك اللغة..

أنظر - إن شئت - في قوله ﷻ: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ﴾ ﴿١٨﴾ [سُورَةُ التَّكْوِينِ]؛ تجد من الروعة والجمال باجتماع كلمتي «الصبح»، و«التنفس» ما لا تجده لو جيء بأيِّ كلمة أخرى من كلمات اللغة قاطبة لتوضع مكان إحدى الكلمتين بهذا التأثير والتأثر العجيب؛ فإن عبارة «الفجر إذا تنفس» مثلاً لن تخلط نفسك بهذه الروعة، ولن تحسُّ بهذا التأثر إزاءها فيما لو جيئت بديلة عن لفظة «الصبح»؛ باعتبارها مُرادفة أو مقاربة لها؛ فإن كلمة «الفجر» - وإن كانت رديفة لكلمة «الصبح» - تختلف معها في الاشتقاق؛ لأنها مشتقة من الانفجار، وهذا يعني أنَّ «الفجر» أول سطوع ينشئ عنه ظلام الليل^(٧٣).. في حين إنَّ «الصبح» مأخوذٌ من الإصباح؛ وهو سريان الضوء لتمزق رداء الظلام الذي يُجلُّل الفضاء^(٧٤)؛ ولذلك كانت كلمة «الصبح» هنا أليقَ وأنسبَ من كلمة «الفجر»؛ لاقرانها بذكر النَّفْس، والتَّنْفُس دليلُ الحياة؛ لأنه عبارة عن جذب الأنفاس إلى داخل الجسم وإخراجها منه، وبدخول الأنفاس في الجسم؛ فإنها تهبُّ الجسمَ مادةً الحياة، وخروجها استمرارٌ للحياة.. وهذا لا يناسب ذكر «الفجر» كما يناسب ذكر «الصبح»؛ لما تُصوِّره جملة ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ﴾ من ذلك المشهد الذي ينساب فيه ضوءُ الصباح في الفضاء فيطوي رداء الظلام، وتسري الحياة في عالم الأرض؛ فتفتح الأزهار، وتغني الأطيوار، وتشرق الأكوان بالأنوار، وتتسَّمَّ برد الصبا، وتحيا بالنشور والحركة؛ إذ ترى الناسَ بين آتٍ وذاهب غدواً إلى أعمالهم، والحيوانات تنطلق من مراتبها ساعية وراء رزق ربها، والأشجار تستقبل أزهارها وأوراقها هذا الضياء أستقبال العاشق لمعشوقه^(٧٥)..

ومن هنا؛ فقد منح الصَّوتُ اللفظةَ دفقاً دلاليّاً مُضافاً، يُحسُّ في عناصر تشكيلها وبنائها.. ولما كان ذلك الدَّفْقُ مُنبعثاً من عناصره؛ فليس إحساسه مقصوراً على شخص مُعيّن؛ وإنما هو مادّةٌ دلاليةٌ ثرية، ذاتُ عطاءٍ جزيل، يُحسُّه الجميع.. على أن لا يُجرِّنا ذلك إلى القول باستقلال وحدة الدلالة الصَّوتية بأداء معنى اللفظة في العربية؛ فهي ليست دلالةً مُؤسَّسة للمعنى بقدر ما هي مُؤكِّدة له ضمن عناصر السياق^(٧٦)..

هذا، وخصَّص الدكتور محمد المبارك في كتابه القيم «فقه اللغة وخصائص العربية»، مبحثين لدراسة القيم التعبيرية والوظائف البيانية للحروف في اللغة العربية، أكَّد من خلالهما على وجود التناسب الصَّوتيِّ، والتوافق الجرسِيّ والإيقاعيِّ، والتقابل الموسيقيِّ في تركيب الكلمات وحروفها، وعدَّ ذلك واحداً من أهمِّ الأدلة التي تُقدِّمها لنا العربية المعطاء من خاصتها الطبيعية، والتي تثبت لنا من خلاله أنها أبنة الفطرة والطبيعة^(٧٧)..

فالكلمة ليست صورةً جامدةً مُجرَّدةً من المضمون؛ وإنما هي صوتٌ يلفظ؛ ما يجعلها تتَّصل اتصالاً وثيقاً بالموسيقى.. وعلى هدىً مما تقدَّم يتبيَّن لنا الحرصُ البالغ للغة على أتلاف الجرس، وتيسير التعبير، وصفاء الرُّونق، وخفة الأداء؛ من خلال هجرها لكلِّ حوشيٍّ ونابٍ وخشن من الألفاظ، وتجايفها عن كلِّ مُؤذٍ ومُستكره وممجوج من حركات الصَّوت.. والكلمة أو اللفظة - قبل كلِّ شيء - عبارة عن صوتٍ مُتَّسقٍ ومُتناسقٍ ينطق به الإنسان؛ ليعبر به عن أغراضه البيانية الجائلة في صدره.. والجرس - الذي تشع به هذه اللفظة أو تلك - يُوحى في نفس المُتلقي صورةً ذهنيةً تُناسبُ إيقاعه، وتشيع في خلجات صدره جواً نفسياً معيناً له القابلية الفائقة والقدرة الخلاقية - بما توحيه عليه وتضفيه من شخوص حية غادية ورائحة - على تجسيد صور تتناسب والجوَّ الموسيقيِّ النفسيِّ الذي يُحدِّثه إيقاعُ ذلك الجرس ومُوسيقاه العذبة الأخاذة.. والألفاظ تجري من السَّمع مجرى الصُّور من البصر^(٧٨)!!

المبحث الثاني

تحليل البنى الصرفية لطائفة من الألفاظ العربية والقرآنية وتفكيكها

وأثر ذلك في تجميع التركيبة الصوتية وأستيعاء دلالتها

مما سبق عرضه وتناوله تبيَّن أنَّ ((الحروف الهجائية إليها تُحلَّل الكلمات اللغوية، فما من لغة في الأرض إلا وأرجعها أهلها إلى حروفها الأصلية، سواءً أكانت اللغة العربية أم

اللغات الأعجمية، شرقية وغربية؛ فلا صرّف، ولا إملاء، ولا اشتقاق.. إلا بتحليل الكلمات إلى حروفها، ولا سبيل لتعليم لغة وفهمها إلا بتحليلها، وهذا هو القانون المسنون في سائر العلوم والفنون))^(٧٩)..

ولا يمكننا مجال تحليل حروف هذه اللغة أو تلك من دون الوقوف على أصدائها الصوتية المتنوعة وما تبثه من أعماقها من إيماءات وإيماءات دلالية شتى.. وبذا يمكننا عدّ الأصوات المظهر الماديّ للغة؛ ذلك أنها تجتمع بحسب نظام مُعيّن لتؤلف الكلمات التي هي موضوع علم الصرّف، ثم إنّ هذه الكلمات تتنظم أيضاً فيما بينها لتؤلف التراكيب النحوية (Syntactic Structures).. فالنظام الصرّفِيّ (Morphology, Morphematics) لا يتألف إلا من الأصوات (phonetics, Phonology, Phonemes)، كما إنّ النظام النحويّ لا يتخذ أيّ نوع من المباني سوى ما يُقدّمه له النظام الصرّفِيّ^(٨٠)..

وبالتحليل العلميّ اللغويّ الصرّفِيّ القائم على ((التلّعب بالحروف الأصول لما يُراد فيها من المعاني المفادة منها))^(٨١)، يمكننا معرفة أنّ بناء الفعل الثلاثيّ في العربية قد نشأ بدمج مقطعين صوتيين ثنائيّين اثنين في لفظة واحدة على قاعدة النحت والاشتقاق الكبير^(٨٢).. فللفظة: «بتر» مثلاً يُمكن تقطيعها بلا قلب إلى ثلاثة مقاطع ثنائية الحروف؛ وهي: «ب ت»، و«ب ر»، و«ت ر».. وبدمج المقطع الأصل: «ب ت» - من: «ب ت ت»؛ بمعنى: قطع - مع المقطع الثانويّ: «ت ر» من: «ت ر ر» العضو؛ بمعنى: بان وأنقطع.. نحصل على الفعل الثلاثيّ «بتر»، قال عجل: ﴿بَتَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [سُورَةُ الْبُكَرَةِ]..

وهكذا توافقت معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعها الصوتية وإيماءات حروفها في تمثيل واقعة البتر ومحاكاتها؛ من الإبانة والحذّة والقطع^(٨٣)..

ومن الأمثلة العديدة الأخرى للمزاوجة بين تحليل البنية الصرّفية وأستيحاء التركيبية الصوتية لطائفة من ألفاظ العربية المبينة والقرآن المجيد، وأثرهما في التوصل والاهتداء بدقة إلى مدلولاتها ما يأتي:

❖ مفهوم «الفكر» هو إعمال العقل في المعلوم للوصول من خلاله إلى معرفة المجهول^(٨٤).. فمن أفراد الأسرة اللغوية لهذه اللفظة: فكَر في الأمر؛ إذا عمل عقله فيه ورثب بعض ما يعلم؛ ليصل به إلى مجهول، وأفكر في الأمر: فكَر فيه، وأفكر الأمر: خطر بباله،

والفكرة: الصورة الذهنية لأمر ما^(٨٥).. ومن مقاطعها الصَوْتِيَّة والبِنَائِيَّة: «ف ك» من: فكُّ الشيء؛ إذا فصل أجزاءه، وفكُّ العُقْدَةِ: حلُّها.. و«ف ر» من: «ف ر ر» الأمر، وفرُّ عنه؛ إذا بحثه ليكشفه، وفرُّ الدَّابَّة: كشف عن أسنانها؛ لينظر ما سُنُّها^(٨٦).. و«ك ر» من: «ك ر ر» الليل والنهار؛ عاذا مرَّة بعد أخرى^(٨٧)..

فالمقطع الأصل للفظه هو: «ف ك» لمُضَاهَاة ما يقوم به الذَّهْنُ من تجزئة المشكلة موضع النظر وتحليلها إلى عناصرها الأولية؛ مادِّيَّة كانت أم ذهنية، والراءُ المُلْحَقَة به للدلالة على التَّحْرُك والتكرار والترجيع في الذهن أثناء التفكير.. أما المقطع الثانويُّ لها؛ فهو: «ك ر» للترجيع والتكرار، والفاء المُلْحَقَة به للتوسُّع والانفتاح في الذهن.. وللقارئ - إذا رغب - أن يُعَدِّد المقطع الثانويَّ «ف ر» للبحث والاختبار والانفتاح، والكاف المُلْحَقَة به لاحتكاك الذَّهْن بما لديه من مُعْطِيَّات..

أما في حُرُوفِهَا؛ ف«الفاء» للشَّقِّ والفصل والانفراج والانفتاح ممَّا يُضَاهِي تجزئة موضع التأمُّل وتحليله إلى عناصره الأولية، و«الكاف» للاحتكاك ممَّا يُضَاهِي إعمالَ العقل في المطابقة بين المُعْطِيَّات المعلومة وبين المجاهيل المطلوب معرفتها؛ كما في الفكر الهندسيِّ والرياضيِّ، أو الفلسفي.. و«الراء» للتكرار والترجيع بما يُضَاهِي إنعام النظر وإجالتة وتقليب الأمر على مختلف وجوهه، قال ﷺ: ﴿أَوْلَمْ يَنْفَكُرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ [سُورَةُ الْبُورَةِ]، وقال ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ]..

وهكذا توافقت معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعها الصَوْتِيَّة وإيحاءات حروفها في تمثيل آلية الفكر ومحاكاتها؛ من فصلٍ وأنفتاحٍ وتكرارٍ بحثٍ واختبارٍ وكشفٍ للوصول إلى حقيقة ما^(٨٨)..

❖ و«العدل» هو الإنصاف؛ وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه^(٨٩).. ومن أفراد الأسرة اللغوية لهذه اللفظة: عدل عدلاً وعدُولاً؛ مال، وإليه: رجع، وفي أمره: استقام، وأعتدل: توسَّط بين حالين من كمٍّ وكيفٍ، والعدُلُ: المثيل والنظير ونصفُ الحِمْلِ يكون على أحد جنبي البعير^(٩٠).. وهكذا؛ فالعنى المحسوس لفهوم العدل هو نصف الحِمْلِ وزناً لا نوعاً.. ومن

مقاطعها الصَوْتِيَّة والبِنَائِيَّة: «ع د» من: «ع د د» الدراهم: حسبها وأحصاها، والعديد: النَّدُّ والقرن والنظير^(٩١)، و«ع ل» من: «ع ل ل»؛ إذا شرب ثانية ومرض^(٩٢)، و«د ل» من: «د ل ل» فلانٌ فلاناً على الطريق: أرشده وهداه^(٩٣)..

فالمقطع الأصل للفظه هو: «ع د» للقرن والنَّدُّ والنظير.. أما المقطع الثانوي؛ فهو: «د ل» للهداية والإرشاد.. ففي حروفها: «العين» للعيانية والوضوح والسُّمو، و«الدال» للشَّدة، و«اللام» للتعلُّق والاتصاق.. فالعدل - بحسب المعاني أعلاه - يتصف بالعيانية والظهور والوضوح - للعين - وبالشَّدة - للدَّال - وبالالتزام - للَّام - ..

وبذا يتلخَّص مفهوم العدل في الموازنة العلنية بين الحقوق، والموازنة هي أحد عناصر الجمال؛ على أن ظاهرة العطاء في العدل هي الأصل؛ كما في قوله ﷺ: ﴿فَإِنْ خَفْتُمْ أَنْ تُغَدَّوْا فَوَجِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [سُورَةُ النَّبَاِ].. وحينما يقضي العدل أن يأخذ من أحد شيئاً؛ فذلك ليعطيه إلى صاحب حقٍّ آخر؛ فيأخذه بالحقِّ؛ وفي ذلك قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]..

وهكذا توافقت معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعها الصَوْتِيَّة وإيحاءات حروفها في تمثيل خصلة العدل ومحاكاتها؛ من ميلٍ وحسابٍ وهدايةٍ ووضوحٍ وشَّدةٍ والتزامٍ^(٩٤).. ❖ وكذا فإنَّ «الحقَّ» ضدُّ الباطل، والوجود الثابت، والأمر المقضي، والعدل، والمال، والملك، والصدق، والحزم، والواجب... وما أكثر الخلط في هذا التعريف^(٩٥)!! وهو من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.. ومن أفراد الأسرة اللغوية لهذه اللفظة: حقُّ الأمر: أوجهه، وأستحقُّ الشيء: أستوجهه وأستأهله، والحقُّ: النقرة في رأس الكَيْف، أو رأس الوَرْك الذي فيه عظم الفخذ، وحقُّ الطيب: وعاؤه^(٩٦).. فالمعنى الحسِّيُّ الأصل لهذه اللفظة هو: الحقُّ للنقرة في رأس الكَيْف، أو رأس الوَرْك، وهذه النقرة هي الحيز الطبيعيُّ اللازم والكافي للتواء في عظم العَضُد أو عظم الفخذ كما يقوم من خلالها بوظائفه الحيوية الطبيعية؛ فلا تضيُّق في النقرة يحول دون تحرك ذلك التواء، ولا توسُّع فيها يُؤدِّي به إلى الانخلاع من مقرِّه.. وهذا ما يتوافق مع مفهوم الحقِّ الطبيعيِّ للإنسان..

ففي حروف لفظة «الحق»: «الحاء» للعاطفة والحرارة والإحاطة، و«القاف» المُشدّدة للمزيد من القوّة والمقاومة.. وهذان الحرفان - الجامعان بين معاني العاطفة والقوّة دونما فاصل بينهما - يحكيان قصّة الحقّ عبر التاريخ؛ فحقّ التملك - وهو أصلُ الحقوق جميعاً - يبدأ برغبةٍ ما - للحاء - فتعمل القوّة فوراً على تحقيقها - للقاف المُشدّدة - ؛ وذلك ((سقواً للحروف على سَمْتِ المعنى المقصود والغرض المطلوب))^(٩٧).. على أنّ مفهوم الحقّ بحسب أسرة هذه اللفظة وحرفيها هو: أن يأخذ الإنسانُ الحيزَ اللازم والكافي لممارسة وظائفه الطبيعية من دون ما زيادة أو نقصان في شتى مجالات الحياة الأسرية والدينية والسياسية وما إليها؛ فظاهرة الأخذ في مفهوم الحقّ تقابل ظاهرة العطاء في مفهوم العدالة؛ وإن كان كلٌّ منهما يُكْمَل الآخرَ ويُتمّمه، ويتمُّ به ويكتمل..

وهكذا يُضفي حرفُ الحاء على مفهوم الحقّ حرارة التعلّق العاطفي بمواضيعه والإحاطة التامة بتلك المواضيع.. أما حرف القاف؛ فيكشف عمّا يقتضي الإنسانُ من قوّةٍ للحصول على حقوقه بمواجهة ما يلقاه في سبيل ذلك من مقاومة جميع الكائنات، وقوانين الطبيعة، والأنظمة الاجتماعية على حدّ سواء، قال ﷺ: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ﴾ [شُورَةُ الْاِنْتِزَالِ]، وقال ﷺ: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [شُورَةُ الْاِنْتِزَالِ]..

ومفهوم الحقّ بحسب دلالة اللغة العربية يختلف عن مفهوم العدالة في أمورٍ كثيرة، منها: أنّ العدالة موضوعية عيانية، والحقّ ذاتيٌ صميميٌ.. ومنها: أنّ العدالة ظاهرة اجتماعية، والحقّ ظاهرة أصالة حياتية.. ومنها: أنّ العدالة توازنٌ، والحقّ تكاملٌ.. ومنها: أنّ العدالة عطاءٌ، والحقّ أخذٌ..

وهكذا توافقت معاني اللفظة اللغوية ومقاطعها الصوّتية وإيجاءات حروفها في تمثيل حقيقة الحقّ ومُحاكاتها؛ من العاطفة والحرارة والقوّة^(٩٨)..

❖ و«الرحمة» لغة هي: رِقّة القلب، وأنعطفٌ يقتضي التفضّل والإحسان والمغفرة.. ومن أفراد أسرتها اللغوية: رَحِمَهُ: رَقَّ له وغفر وتعطف، والرَّحِمَ والرَّحْمَ: بيت منبت الولد ووعاؤه في بطن الأم، والقرباة وأصلها وأسبابها، والرحمن والرحيم: من أسماء الله الحسنی

وصفاته العلى^(٩٩).. ومن مقاطعها الصَّوتية والبنائية: «ر م» من: «ر م م» الشَّيءَ رماً ومَرَمَةً: أصلحه وقد فسد بعضُه^(١٠٠).. و«ح م» من: «ح م م» التنور: أوقده، والحميمُ بالحاجة: الكلفُ بها^(١٠١).. «رح» من: «رح ح» الفرس: أتسع حافرُه، والرُّحْمُ: الجفانُ الواسعة^(١٠٢).. والمقطع الأصل للفظه هو: «رح» بمعنى الاتساع، والجفنةُ الواسعة للطعام، ألحقتُ به الميم للانجماع والانضمام.. وهكذا؛ فإنَّ الجفنةُ الواسعة المفتوحة المعدة للطعام في «رح» تنقلُب بميم الأمومة المُضافة إلى وعاءٍ واسعٍ مغلقٍ مُعدٌّ لاستيعاب الجنين وما يحتاجه من الطعام في الرَّحِمِ^(١٠٣).. أما المقطع الثانوي؛ فهو «ح م» للحرارة والإحاطة والتعلُّق، وخاصة الأهل والولد.. وفي حروفها: «الراء» للتحرك والتأوُّد، و«الحاء» هنا للإحاطة وعاطفة المحبَّة والحرارة، و«الميم» للانضمام والانجماع والحرارة..

وهكذا تتوافق معاني هذه الحروف إلى أقصى الحدود مع معنى الرَّحِم، ومع مفهوم الرحمة في كلِّ ما يكتنفهما من مظاهر الحركة والحرارة والإحاطة والانضمام، حسيِّها ومعنويها على حدٍّ سواء.. ولما كان أصلُ المعاني في اللفظة العربية هو المعنى الحسيُّ المأخوذ من بيئة العربي وما أكتنفته من مظاهر الطبيعة المختلفة، وفي أثناء هذا البحث طائفة وافية من الألفاظ التي تُدلل لتلك الحقيقة؛ فإنَّ مفهوم الرحمة قد اشتقَّ من الرَّحِم كوعاءٍ للولد؛ وذلك لما تقتضيه هذه الصِّلة بين الأمِّ وجنينها من دواعي العطف والحَدَب والرِّقَّة والحنان، قال ﷺ: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ١٥٩]، وقال ﷺ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلَيَّا﴾ [سُورَةُ مَرْيَمَ: ٥٠]..

وبذا يتجاوز مفهوم الرَّحمة مفاهيم العدالة من تعادلٍ وأعتدال، والحقِّ الواجب، والكرم والصدقة من العطاء.. إلى ما هو أَمَسُّ بصميم الإنسانية، فكما إنَّ عاطفة الأمومة تنبعث أصلاً من علاقة الأمِّ بمعناها - الجنين -؛ فإنَّ الرحمة تنبعث أيضاً من علاقة الإنسان بمعناه الملقى على عواتق الآخرين في فيضٍ ذاتيٍّ يلتزم به وجدانياً تجاههم عفو فطرته السوية في وعاءٍ من الرَّحمة لا أوسع رِحَاباً، ولا أضَمَّ آصرة، ولا أكثر دفئاً!! جاء في الكتاب العزيز: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ١٥٩]؛ فكان الرحمنُ الرحيمُ من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى..

وهكذا توافقت معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعها الصوتية وإيحاءات حروفها في تمثيل صفة الرحمة ومحاكاتها؛ من التأوُّد والإحاطة والحَدَب والعاطفة والانضمام والحرارة (١٠٤) ..

❖ و«الحُبُّ» لغة من قولنا: حَبُّ الأَمْرِ: صار محبوباً، وحبُّ فلانٍ فلاناً: أحبه.. ومن أفراد الأسرة اللغوية لهذه اللفظة: حَبُّ الزرع: بدا حبه، وتحبب إليه: تودد، والحَبَابُ: طرائق تظهر على وجه الماء تصنعها الريح (١٠٥) .. وفي حروفها: «الحاء» هنا للعاطفة والإحاطة والحرارة، و«الباء» للشقِّ والبقر والحفر، قال ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سُورَةُ الْاٰنْجِلِابِ ٣١]، وقال ﷺ: ﴿يَتَّأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۗ﴾ [سُورَةُ الْبَنَاتِ ٥٤] ..

وهكذا ف«الحُبُّ» بحسب المعاني أعلاه عبارة عن شحنة عاطفية جميلة تغزو القلب؛ فتشق طريقها إلى شغافه، وتحفر فيه عميقاً إلى سويدائه؛ بمعنى أن الحب يأتي من العالم الخارجي غازياً على جناح صورة جميلة، أو في سهام من نظرات أسرة؛ وذلك ((سوقاً للحروف على سمّت المعنى المقصود والغرض المطلوب)) (١٠٦)؛ لتلتقي بذلك وجهة نظر العربي في فهم فلسفة الحب مع وجهة نظر اليونان حين مثّله بسهام يُطلقها طفلٌ جميل؛ فيشق بها قلوب الناس!! على أن العربي قد أكتفى بإعطاء مفهوم الحب معاني التعلُّق والوداد؛ ليضفي عليه حرف «الحاء» ما يلزمه من العاطفة والحرارة والجمال، وليمنحه حرف «الباء» معاني العمق والتغلغل في الأحشاء دونما أيِّ تصوُّر جنسيٍّ، خلافاً لما يرى بعض مفكرينا!! ولكن أين هذا المفهوم ممَّا يكابده الحبُّ من قلقٍ وأرقٍ وشوقٍ وتعلُّقٍ وولعٍ ووله، ممَّا يقرح الجفون، ويضني الجسم، ويذهب باللبِّ؟!!

لقد أحال العربيُّ هذه الحالات العاطفية إلى ألفاظٍ أخرى كيما تدلَّ عليها، قد أختصَّ كلُّ منها بالكشف عن لونٍ ما من ألوان الحبِّ، وعن درجةٍ ما من درجاته؛ ك«الشغف»، و«العشق»، و«الغرام»، و«الهُوى»، و«التييم»... وهكذا أحتفظ العربيُّ لمفهوم الحبِّ بصفائه ونقائه وبراءته وحرارته وعمقه وعِفِّته وكياسته وجماله؛ ممَّا يجعل هذه العاطفة صالحةً للتداول بين الأصدقاء أيضاً، وبين الآباء والأبناء، وبين الناس والطبيعة، وبين الله ﷻ والناس.. ولقد

تردد ذكر الحبِّ ومشتقاته في خمس وسبعين آية من القرآن الكريم، ولم يرد بمعنى العشق إلا في آية واحدة مقترناً بالشفغ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنْهَى عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ﴾ [شُورًا يُؤْتِيهَا]؛ مما يبرهن أبتعاد مفهوم الحبِّ الصِّرف عن التصوُّر الجنسيِّ الشائب!! وهكذا توافقت معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعها الصَّوتية وإيحاءات حروفها في تمثيل شعور الحبِّ ومحاكاته؛ من العاطفة والحرارة والجمال والتغلغل والعمق^(١٠٧)..

فعاطفة الحبِّ في اللغة العربية - كما هي في الطبيعة الإنسانية - إنما هي وقفٌ على حرفين أثنين: عاطفة جميلة يحتضنها قوسٌ من «الحاء»، مشدودة إلى سهم من «الباء» يشكُّها المحبوبُ في سويداء القلب!! فالحبُّ - في رأي اللغة العربية بين فتى وفتاة - ليس مجرد نداءٍ غريزيٍّ خفيٍّ؛ وإنما هو - قبل ذلك - اختبار حسَّاسية مشاعر وتجربة حياة، وأمتحان وجود.. فمن لم يغزُ الحبُّ النقيُّ قلبه أنى كان مصدره ومحلُّه؛ تبرحُ أعماقه النفسية مُغلقة الأبواب، لا يتسرَّب إليها نورٌ، وخامدة لا تحركها أنسامٌ.. وهكذا يمضي صاحبُ هذا القلب المتحجَّر أو العاصي عُمره وفي نفسه ضمورٌ، وفي عواطفه شللٌ، هيهات أن يعرف للجمال طعمًا، وللإيثار معنى^(١٠٨)!!

❖ و«الغرام» هو التعلُّق بالشيء تعلقًا لا يُستطاع التخلُّصُ منه، والعذاب الدائم الملامز^(١٠٩).. ومن أفراد الأسرة اللغوية للفظ الغرام: أُغْرِمَ بالشيء: أُولِعَ به؛ فالْمُغْرَمُ: المولع بالشيء لا يصبر على فراقه.. والغرامة: الخسارة.. ومعانيها تتردد بين الولع والغرامة^(١١٠).. ومن مقاطعها الصَّوتية والبنائية: «غ ر» من: «غ ر ر» الرجل غرارة وغيرة: جهل وغفل؛ فهو غرٌّ، وغرٌّ فلانٌ فلاناً غراً وغروراً: خدعه وأطمعه بالباطل، والعرر: الخطر^(١١١).. «غ م» من: «غ م م» اليوم: أشتدَّ حرُّه حتى كاد يأخذ بالنفس، وغمُّ الشيء: غطاه وستره، والغمُّ: الكرب أو الحزن يحصل للقلب بسبب ما^(١١٢).. و«ر م» من: «ر م م» العظم: بلي، ورمُّ الشيء رمًا ومرمَّةً: أصلحه وقد فسد بعضه، الرُّمُّ: الهم^(١١٣)..

وهكذا؛ فإنه ليس لعاطفة الحبِّ مما ورد آنفاً سوى ما جاء فيها من الولع بالشيء والتعلُّق به، كما يُمكنُ صرفها أيضاً إلى التعلُّق ببعض العادات والهوايات والملذات وما إليها بمعرض المدح والذمِّ على حدٍّ سواء.. ولئن كانت المعاني المستخلصة من مقاطعها خلواً من كلِّ ما يمتُّ

إلى معاني الحبّ بصلة؛ فإنّ من شأنها أن تُصوّر لنا الحالة النفسية للمُغرم بعد أن يقع في شرك الحبّ، ويتمكّن من نفسه؛ فيتعلّق به تعلقاً لا يستطيع منه فكاًكاً.. فللغرام من المقطع الصرفيّ والصوّتيّ «غ ر»: الجهلُ والغفلة والخدعة والخطر والتعرّض للهلاك، وله من المقطع «غ م»: الكرب والحزن وشدة الحرارة والظلمة، وله من المقطع «ر م»: البلى والهّم!!

وما إخالُ أنّ ثمةً مُحللاً نفسياً يستطيع تصويرَ الحالات التي يمرُّ بها المُغرمُ بأبلغ وأدقّ وأصدق ممّا جاء في معاني هذه المقاطع الصوّتية وإيجاءاتها اللغوية المعجمية.. على أنّ مفهوم «الغرام» على وفق ما جاء في مقاطع هذه اللفظة إنما هو مَدِينٌ في معانيه إلى حرف «الغين» للغيبوية التّفسية والغوّور والظلام، ولحرف «الراء» للتّحرُّك والحرارة والقلق والهيجان، ولحرف «الميم» في آخر اللفظة للانضمام والحرارة والانجماع.. فالغرام في أحنى وصفٍ نقديّ تحليليّ له لا يعدو كونه حالة مرضية من حالات الحبّ، وليس إلا مظهرًا من مظاهره العليّة!!

وهكذا توافقت معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعها الصوّتية وإيجاءات حروفها في تمثيل ظاهرة الغرام ومحاكاتها؛ من غيبوية وقلقي وحرارة وهيجان وحركة^(١١٤)..

❖ «الصّدق» هو مُطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلّم، وهو الصّلاية والشّدّة^(١١٥).. ومن أفراد الأسرة اللغوية لهذه اللفظة: صدق في الحديث: أخبر بالواقع، والصديق: الصاحب الصادق الودّ.. والصّدق: الكامل من كلِّ شيء، ورجلٌ صدقٌ في القتال: ثبتٌ فيه، وتصدّق عليه: أعطاه؛ أي: فعل معه فعل الأصدقاء^(١١٦).. ومن مقاطعها الصوّتية والبنائية: «ص د» من: «ص د د»؛ بمعنى: أعترض، أو منع، أو صرف^(١١٧).. و«د ق» من: «د ق ق»؛ بمعنى: كسر، ودقّ الأمر: كان خفياً لا يدركه إلا الأذكىاء ذوي الفطنة^(١١٨).. و«ص ق»، في حروفها: «الصاد» للصفاء والصلابة، و«الذال» للشّدّة والقوّة، و«القاف» للقوّة والمقاومة، قال ﷺ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُنْقُوتُونَ﴾ [شُورَةُ الرَّبِّيعِ]، وقال ﷺ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزَحَلَةٍ فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلُ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [شُورَةُ يُوسُفَ]، وقال ﷺ: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَفْعِينَ﴾ [وَلَا صِدْقٍ حَمِيمٍ] [شُورَةُ الشُّعْرَاءِ]..

وبذا؛ فإنَّ مفهوم «الصدق» بحسب المعاني المستخلصة من أفراد أسرتها اللغوية ومقاطعها الصَوْتِيَّة وإيحاءات حروفها يتجاوز الإخبار بالواقع إلى صفاء الطويَّة وصدِّ الإنحراف والشطط؛ ليصدق بذلك القولُ المأثور: «الصدِّيق من صدَّقك، لا من صدَّقك»..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعها الصَوْتِيَّة وإيحاءات حروفها في تمثيل خصلة الصدق ومحاكاتها؛ من خفاء وصفاء وصلابة وقوَّة^(١١٩)..

❖ ولفظة «الكرم» تعني: العطاء بسهولة، والجود^(١٢٠).. ومن أفراد الأسرة اللغوية لـ«ك ر م»: كرمه وكرامه، وأستكرم، والتكرمة... وهي تدور حول معاني الجود والعطاء، والكرم: شجرة العنب^(١٢١).. ومن مقاطعها الصَوْتِيَّة والبنائية: «ك ر» من: «ك ر ر» الفارس كراً: عاد مرَّة بعد أخرى، وكرَّر الشيء: أعاده مرَّة بعد أخرى^(١٢٢)، و«ك م» من: «ك م م» الناس؛ إذا أجمعوا^(١٢٣)، و«ر م» من: رَم الشيءَ رماً ومَرَمَةً: أصلحه وقد فسد بعضه^(١٢٤)..

والمقطع الأصل للفظه هو: «ك ر» للتكرار والإقدام، والمقطع الثانويُّ هو: «ر م» للإصلاح.. ومُحصَّلة معنيهما هي: تكرار إصلاح ما فسد من حال الناس بالعطاء.. ففي حروفها: «الكاف» للاحتكاك، و«الراء» للتحرك والتكرار، و«الميم» للانضمام والانجماع بما يفيد الترميم والإصلاح.. ومن معاني الأسرة اللغوية لهذه اللفظة ومقاطعها وحروفها يتضح أنَّ مفهوم «الكرم» يتناقض مع الإسراف والتبذير والسفه ببذل المال فيما لا يُغني ولا يُرْمم، قال ﷺ: ﴿إِنَّهُ لَقَرَمٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ [سُورَةُ الْوَاغِيَةِ]، وَقَالَ ﷺ: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]، وَقَالَ ﷺ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعها الصَوْتِيَّة وإيحاءات حروفها في تمثيل خصلة الكرم ومحاكاتها؛ من العودة والتكرار والإصلاح والترميم^(١٢٥)!!

❖ و«الحسن» هو الجمال، وكلُّ مُبْهَج مرغوب فيه^(١٢٦).. ومن أفراد أسرتها اللغوية: أَحْسَنَ: فعل ما هو خيرٌ، وأحسَنَ الشيءَ: أجاد صنعه، وحاسنُه: عامله بالحسنى^(١٢٧).. ومن مقاطعها الصَوْتِيَّة والبنائية: «ح س» من: «ح س س» الشيءَ وبه حسيماً: أدركه بإحدى حواسه، وأحسَّ الشيءَ وبه: علم به^(١٢٨).. و«ح ن» من: «ح ن ن» حينئذٍ: صوتٌ، وحنَّ إليه: اشتاق^(١٢٩).. و«س ن» من: «س ن ن» الحَجَرَ ونحوه: صقله، وسنَّ الشيءَ: صورَه وملَّسه،

والطريق: مهّده، وسنن كلامه: حسّنه وهذبّه^(١٣٠).. والظاهر أنّ كلّاً من هذه المقاطع الثلاثة يصلح أن يكون أصلاً ومادّةً لمفهوم «الحُسن»؛ ليكون هو نفسه مُحصّلة معانيها؛ فالمقطع: «ح ن س» للإحساس بالشيء والعلم به، يدخل الحسّن في نطاق المحسوسات، والمقطع: «ح ن» يكشف عمّا يُثيره الحسّن في النفس من عواطف الشوق والحنين؛ ليتجاوز الحُسن بذلك نطاق المحسوسات إلى ما هو غير محسوس من العواطف والمشاعر والمعاني.. أما المقطع: «س ن»؛ فيضفي على الحُسن شيئاً من الصقل والملاسة؛ تخليصاً له من كلّ ما هو نابٍ أو متنافر..

وفي حروفها: «الحاء» هنا للعاطفة الجميلة والحرارة، و«السين» للحركة والرّشاقة والملاسة، و«النون» للرّقة والأناقة.. وهكذا جمع الحُسن إلى نفسه أجمل الأصوات ذبذبة، وأعذبها جرساً، وأوحاها بمشاعر الحُبّ والحنين إيقاعاً، وأكثرها دفناً ورشاقة ورقّة وأناقة، في تناغمٍ صوتيٍّ وتوافقٍ معنويٍّ، ممّا لم يتوافر لأية لفظة أخرى؛ ليشعّ الحُسن بذلك إشعاعاً من هذه اللفظة دونما حاجة إلى أيّ تفسير أو تأويل آخر، وقد وردت هذه اللفظة ومشتقاتها في سورة المائة وثمانية وثمانين آية في القرآن الكريم قد اختصّت المرأة بوحدةٍ منها فقط في سورة الأحزاب: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْبَجَكَ حُسْنُهُنَّ ﴿٥٢﴾ [سُورَةُ الْأَحْزَابِ: ٥٢]..

وهكذا توافقت معاني أسرة هذه اللفظة ومقاطعها الصّوتية وإيحاءات حروفها في تمثيل بهاء الحُسن ومُحاكاته؛ من العاطفة والحرارة والحركة والرّقة والملاسة^(١٣١)..

❖ و«الفرح» هو السُرور والابتهاج^(١٣٢).. ومن أفراد أسرتها اللغوية: فرح فلان فرحاً: رضي، وفرح بكذا: سرّ وأبتهج^(١٣٣).. ومن مقاطعها الصّوتية والبنائية: «ف ر» من: «ف ر ر» فرأً وفراراً: هرب، وفرّ الأمر وعنه: بحث ليكشفه، وأقترّ البرق: تلاً، والفراء من النساء: الحسناء الثغر، وفرّ الدابة: كشف عن أسنانها؛ لينظر ما سنّها^(١٣٤).. و«ف ح» من: فحّت الأفعى: صوّتت من فيها، وفحة الفلفل: حدّته وحرارته^(١٣٥).. و«رح» من: «رح ح» الفرس: أتسع حافره، والرّحاح: الواسع المنبسط^(١٣٦).. وهذه المقاطع تضيف على مفهوم الفرّح معاني الانفتاح والانكشاف «ف ر»، والحرارة «ف ح»، والسعة والانبساط «رح ح» بما يتوافق مع المعنى اللغوي للفرّح.. وفي حروفها: «الفاء» للانفتاح، و«الراء» للتحرّك، و«الحاء» هنا للعواطف الإيجابية والإحاطة..

و«الفرح» بحسب معاني هذه الحروف هو حالة نفسية منفتحة - للفاء - مُتحرّكة - للراء - تكتنفها حرارة العواطف الإيجابية - للحاء - مما يتوافق مع المعنى النَّفسي للفرح.. وهكذا ما من لفظة في الدنيا تُضاهيها في التعبير عن حالة الضياع النَّفسي التي يجيها الإنسان الفرح: أنفتاح مشاعر بلا حدود - للفاء - وحركة في النَّفس بلا قيود - للراء - وحرارة تُوجِّج العواطف بلا ضوابط - للحاء - ..

وهكذا توافقت معاني أسرة هذه اللفظة ومقاطعها الصوتية وإجاءات حروفها في تمثيل مشاعر الفرح ومحاكاتها؛ من الحركة والإحاطة والحرارة..

وكما أدانت اللغة العربية حالة الفرح بغير ضابطٍ وانتقدتها في الإنسان؛ فقد أدانها القرآن كذلك - جرياً على سنن كلام العرب - في اثنتين وثلاثين آية بكل ما يتعلق بأمور الدنيا؛ كما في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [سُورَةُ الْقَصَصِ: ٧٦]؛ لتقتصر براءتها ومشروعيتها على ما يتعلق منها بالإيمان في ثلاث آيات فقط، قال ﷺ: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سُورَةُ التَّغْوِيَاتِ: ١٧]..^(١٣٧)

❖ و«الخبث» لغة يعنى: الفساد والرّداء، يقال: خبث الشيء؛ إذا صار فاسداً، رديئاً، مكروهاً، والخبثية: الحرام، المخبّثة: المفسّدة^(١٣٨).. فالمقطع: «خ ب» من: «خ ب ب» خبأ؛ إذا خدع وغش؛ فهو خببٌ، وخبب فلانٌ فلاناً: خدعه وأفسده^(١٣٩).. والمقطع: «خ ث»، ومنه: الخبث؛ وهو غشاء السّيل بعد أن يجفّ ماؤه^(١٤٠).. والمقطع «ب ث» من: «ب ث ث» الشيء؛ إذا فرّقه، والسّر: أفساه^(١٤١).. فالمقطع الأصل للفظه هو: «خ ب» للخداع والغش، والمقطع الثانوي هو: «خ ث» للحثالات والقذارات والتوافه.. ففي حروفها «الحاء» للرّخاوة والتشويه والتّقزّز، و«الباء» للحفر والبقر، و«الثاء» للرقّة والدمائة والبعثرة..

وهكذا تبدأ ظاهرة الخبث الدّميمة بطويّة مجبولة على الفساد والغش، وعلى ما هو خسيسٌ وحقيرٌ لـ«الحاء»، ثمّ يتمّ الانتقال إلى الحفر ونصب الفخاخ حول الضحية لـ«الباء»؛ لتنتهي هذه الظاهرة بكلّ ما هو دمّثٌ من معسول الكلام والوعود لـ«الثاء»؛ وذلك ((سوقاً للحروف على سمّت المعنى المقصود والغرض المطلوب))^(١٤٢)، قال ﷺ: ﴿وَأَلْبَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ

بَنَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبْتُ لَا يَخْرِجُنِي إِلَّا نَكَدًا ﴿٥٨﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]، وقال ﷺ: ﴿الْحَيْثُتُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُوتُ لِلْحَيْثِثِ وَالطَّيْبَتُ لِلطَّيْبِينَ وَالطَّيْبُونُ لِلطَّيْبَتِ ﴿٦١﴾﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ]..

وهكذا توافقت معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعها الصوتية وإيجاءات حروفها في تمثيل خصلة الكرم ومحاكاتها؛ من التفريق والرفقة والتفرز (١٤٣)..

❖ وكذا لفظة «الخداع»، يقال: خدع فلان خدعاً؛ إذا تخلق بغير خلقه، وخدع الظبي؛ دخل كِناسه، وخدع الطعام؛ أنتن، وخدع فلان الشيء؛ كتمه وأخفاه، والخذاعة: الباب الصغير في الباب الكبير، والبيت في جوف البيت، والمخدع: البيت الصغير داخل البيت الكبير.. تلك بعض المقتطفات من أسرة هذه اللفظة اللغوية (١٤٤)..

وبالانتقال إلى تحليلها الصوتي؛ فإن المقطع الأصل للفظة هو: «خ د» من: «خ د د» الأرض؛ إذا حفرها، والأخدود: الشق المستطيل في الأرض، والخدّة: الحفرة (١٤٥).. والمقطعان الثانويان هما: «خ ع» من: «خ ع ع» الفهد؛ صاح من حلقه إذا أنبهر في عدوه (١٤٦)، و«د ع» من: «د ع ع» فلان فلاناً؛ إذا دفعه دفعاً عنيفاً بجفوة (١٤٧)؛ لتكون مُحصلة معاني مقطعي «خ د د ع» أن يحفر أحدهم حفرة، ثم يدفع شخصاً آخر بقوة وجفوة ليوقعه فيها (١٤٨).. وهذا المعنى هو الأكثر توافقاً مع المفهوم الحقوقي والأخلاقي للخداع مما جاء في أسرتها اللغوية؛ فمجرد أن يتخلق إنسان ما بغير خلقه إذا لم يكن لغرض معين من إلحاق الأذى بالآخرين؛ لا تتوافر فيه شروط مفهوم الخداع.. فالناس إذا عمدوا إلى إخفاء عاهاتهم الجسدية، أو ستر عيوبهم النفسية، وتطبعوا بأحسن المزايا؛ لا يُعد ذلك في حد ذاته خداعاً منهم، قال ﷺ:

﴿يُخَدَعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ]، وقال ﷺ: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يُخَدَعُوا فَإِنَّكَ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بَصَرَهُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]..

فمن مقاطع تلك اللفظة الصوتية والبنائية الموحية بدقة بدلالاتها: «الخفاء» للعيوب النفسية والأخلاقية، و«البدال» للشدة، و«العين» للفعالية.. وهكذا؛ فإن المعاني السابقة تضافي على الخداع شيئاً من الشدة والفعالية؛ مما يؤكد أن المخادع يتحلّى بقدرات ذهنية متميزة، وهمّة

وعزيمة عاليتين، وأنه ليس مجرد خائن خسيس، أو منافق ضعيف، أو خبيث متزلف؛ ولهذا السبب قيل: «الحرب خُدعة»!!

وهكذا توافقت معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعها الصوتية وإيحاءات حروفها في تمثيل صفة الخِدَاع ومُحاكاتها؛ من الحفر والدَّعْ بجفوة وعُف^(١٤٩)..

❖ وكذا لفظه «الحسد»؛ فمن أفراد أسرتها اللغوية: قولنا: حسده؛ إذا تَمَنَّى أن تتحوَّل إليه نعمته، أو أن يسلبها منه، أو يسعى في إزالتها^(١٥٠).. ومن مقاطعها الصوتية والبنائية: «ح س» من: «ح س س» الشيء حسناً: استأصله، وألحس: أنقطع^(١٥١).. و«ح د» من: «ح د د» السيف حدة؛ إذا صار قاطعاً، وأمرٌ حَدَدٌ: مُمتنعٌ باطل^(١٥٢).. و«س د» من: «س د د» الشيء سداً: أغلق خلله وردم ثلمه، وتسددٌ وأستدٌ: استقام وانتظم، والسُدُّ: ما يسدُّ مياه الوادي من حجارة^(١٥٣)..

هذا، ويمكنُ اعتمادُ «ح س س» للاستئصال والقطع أصلاً ومادَّةً للحسد بمعنى: سلب المحسود، والدَّالُّ للشَّدِّ.. كما يمكنُ اعتمادُ مقطع «س د د» أصلاً ومادَّةً لها بمعنى: تحويل النعمة من المحسود إلى الحاسد، وقد ألحقت الحاء العاطفية للمشاعر السلبية.. أما في حروفها؛ ف«الحاء» للعاطفة السلبية والإحاطة، و«السين» للمسير والخفاء، و«الدَّالُّ» للشَّدِّ.. وهكذا تضيء حروفُ هذه اللفظة ومقاطعها على مفهوم «الحسد» مشاعر إنسانية سلبية لا تقفُ عند حدود التَّمَنِّي؛ بل تتعدَّاه إلى السَّعي الخفيِّ لاستئصال النعمة من المحسود «ح س»، أو لتحويل النعمة عن صاحبها إليه «س د»، قال ﷺ: ﴿أَمْرٌ مَحْسُودٌ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [شُورَةُ: ٥٤] والنَّبَاةُ]، وقال ﷺ: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [شُورَةُ: ٥٥] [شُورَةُ: ٥٤]..

وهكذا توافقت معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعها الصوتية وإيحاءات حروفها في تمثيل صفة الحسد ومُحاكاتها؛ من استئصال وسلب وردم^(١٥٤)..

❖ و«السرقه» شرعاً: هي أخذ مالٍ مُعيَّن المقدار غير مملوكٍ للأخذ من حرزٍ مثله خفية^(١٥٥).. فمن أفراد أسرتها اللغوية: سرقه؛ بمعنى: أخذ ماله خفية، وسرق صوته: بَحٌّ، وسرق الشيء: خفي^(١٥٦).. ومن مقاطعها الصوتية والبنائية: «س ر» من: «س ر ر» الخبرُ فلاناً

سُرُوراً وَمَسْرَةً: أفرحه، وسرَّ الشيءَ سرّاً: كتمه، والسريرة: ما يُكتم ويُسرُّ^(١٥٧).. و«رق» من: «ر ق ق» فلانٌ فلاناً؛ إذا جعله رقيقاً، ورق له: رحمه، وخضع وذلل له^(١٥٨)..

والمقطع الأصل لـ«س ر ق» هو «س ر» للخفاء، وألحقت القاف به للقوة والمقاومة؛ بمعنى أنّ السرقة وإن كانت تعتمد التلصص والتسُّرُّ والخفاء ابتداءً؛ فإنها تعتمد القوة أنتهاءً في الكسر والخلع، وربّما القتل!! وفي حروفها: «السين» للمسير، تُضاهي سعي اللصّ تصيداً للفرص، و«الراء» للتحرك والتأوُّد ذات اليمين وذات الشمال والتكرار، تُضاهي واقعة التلصص والمراقبة تمهيداً للجُرم، و«القاف» للقوة والمقاومة، تُضاهي نهاية الحدث بالإقدام على أنتزاع المال من حرزه بقوة؛ وذلك ((سوقاً للحروف على سَمَت المعنى المقصود والغرض المطلوب))^(١٥٩)، قال عَلِيٌّ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢٨) [سُورَةُ الْمَائِدَةِ]، وقال عَلِيٌّ: ﴿ثُمَّ أَذِّنْ مُّؤَذِّنٌ آتِيَهَا الْعِيرَ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾^(٧٠) [سُورَةُ يُوسُفَ].

وهكذا توافقت معاني أسرة اللفظة ومقاطعها الصوتية وإيجاءات حروفها في تمثيل حادثة السرقة ومحاكاتها؛ من خفاء وتحرك وتكرار وقوة^(١٦٠)..

❖ وما قيل عن مثيلاتها؛ يُقال عن لفظة «البخل»، مع مراعاة ما تمتاز به من خصائص بنيوية وصوتية.. فمن أفراد أسرتها اللغوية: بخل - بكسر الخاء وضمها - : ضنّ بما عنده ولم يجُدْ به^(١٦١).. ومن مقاطعها الصوتية والبنائية: «ب ل» من: «ب ل ل» من مرضه؛ إذا برئ وصحَّ، وبلُّ بالأمر: ظفر به^(١٦٢).. و«خ ل» من: «خ ل ل» الشيء؛ إذا صار فيه خللٌ، وخلُّ فلانٌ: أفترق وأحتاج^(١٦٣).. فالمقطع الأصل للفظه هو: «خ ل» للافتقار والاحتياج، وقد ألحقت الباء في أوّله؛ وهي هنا للبيان والظهور..

وهكذا، فإن إعلان الفقر والاحتياج هو الشرط اللازم والكافي لتحقيق مفهوم البخل؛ ومعنى ذلك أنّ مجرد تظاهر الإنسان بالفقر والاحتياج كافٍ لاتهامه بالبخل، وبالمقابل؛ فإن من يمين الحاجة عن سائلها والمستحق لها لا يقال عنه بخيلٌ ما لم يُعلن فقره واحتياجه؛ وإنما يُقال عنه: «مقتّر»، أو «شحيح»، أو «ضنين»!! وفي حروف اللفظة: «الباء» للظهور والبيان، و«الخاء» للخسّة والرّخاوة، و«اللام» للتعلّق والالتصاق، قال عَلِيٌّ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ

بِمَاءِ آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَحُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٨٠﴾ [سُورَةُ
الْأَنْعَامِ: ١٨٠]، وقال ﷺ: ﴿هَاتِنْتُمْ هُنُوْلَاءَ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ
يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ ﴿٢٨﴾ [سُورَةُ مُحْتَبَاتٍ: ٢٨]..

وهكذا توافقت معاني أسرة اللفظة ومقاطعها الصوتية وإيحاءات حروفها ومعانيها في
تمثيل صفة البخل ومحاكاتها، كما كشفت عن حقيقة مفهوم تلك الصفة الذميمة؛ من العلنية
- للباء - والحسنة - للخاء - وإمساك اليد والتعلق بالحاجة موضوع المسألة - للام (١٦٤) - ..
❖ وكذا؛ فإن «الفحش» لغة هو: القبيح الشنيع من قول أو فعل.. يقال: فحش القول
فحشاً: أشدَّ قبحه، وفحش الأمر: جاوز حدّه.. ومن أفراد الأسرة اللغوية لهذه اللفظة: فحش،
وتفاحش، وتفحش، والفاحشة، والفحشاء.. كلها للشناعة والقبح قولاً أو عملاً (١٦٥) .. ومن
مقاطعها الصوتية والبنائية: «ف ح» من: فحَّت الأفعى؛ إذا صوتت من فيها، وفحة الفلفل:
حدته وحرارته (١٦٦) .. والمقطع: «ف ش» من: «ف ش ش»؛ بمعنى: نفخ قليلاً، والفش: الأحمق،
الفشوش: المفتخر بالباطل (١٦٧) .. والمقطع: «ح ش» من: «ح ش ش» الشيء؛ إذا جفَّ وبيس،
وحشُّ الحرب: أضرَم نارها، والحشيش: ما يبس من الكلال (١٦٨) ..

وهكذا؛ فإن المقطع الأصل هو: «ف ح» لما يُماثل فحيح الأفعى من القول قبحاً
وشناعة.. والمقطع الثانوي هو: «ف ش» لما ينتج عن الحمق والبطلان من الأعمال الشنيعة
والقبيحة.. وفي حروفها: «الفاء» للانفراج والاتساع، و«الحاء» للعاطفة - وهي هنا سلبية -
و«السين» في نهاية اللفظة للتفاهة والتفشي؛ وبذا ينطوي مفهوم الفحش على انفراج العواطف
السلبية عن الشناعة والقبح والتفاهة والجفاء بأكثر ما يكون من الانتشار، قال ﷺ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا
فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا
تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ٢٨]، وقال ﷺ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ﴿٣٢﴾
[سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ٣٢]..

وهكذا توافقت معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعها الصوتية وإيحاءات حروفها في
تمثيل خصلة الكرم ومحاكاتها؛ من التفشي والتفريق والرفقة والتقرُّز (١٦٩) ..

مما تقدّم من الأمثلة التي أنتقيتها وأستعرضتها آنفاً - وأعرضتُ عن كثير غيرها؛ وإلا كان العملُ مُحوجاً إلى مُجلّداتٍ طوال - نغدو في حالة يقين لا يُساوَرُها شكٌ، ولا يطعن فيها مُشككٌ من أنّ عملية أَسْتَباطِ المعاني الفطرية والدلالات الحسيّة للألفاظ العربية بالرجوع إلى أسرها ومقاطعها البنائية، وإيجاءات حروفها وخصائصها الصّوتية ذاتُ أثر بالغ في الإحاطة بما وُضِعَتْ له من معانٍ ومرامٍ، وما دلّت عليه من أبعادٍ وغايات، وأنها والدلالات اللغوية المعجمية بعضها آخذٌ بعناق بعض، يُكمّله ويكملُ به.. وما قيل عن الأفعال والمصادر أعلاه يقالُ عن باقي أفعال العربية وكلماتها ومصادرهما قاطبة..

كما نتبيّن - من خلال ما أَسْتعرضناه من الأمثلة - الصّلة الوثقى بين علمي «الصّوت»، و«الصّرف»؛ إذ ليس من الممكن دراسة بنية الكلمة من دون دراسة أصواتها ومقاطعها وعلاقة الصوامت «الحروف - Letters, Characters» بالحركات «الصّوائت - Vowels»؛ لأنّ كلّ تغيّرٍ تتعرّض له هذه البنية اللغوية إنما ينشأ عن تفاعل عناصرها الصّوتية أثناء الممارسة الكلامية على مستوى الأفراد الناطقين باللغة.. فعلمُ الصّرف تابعٌ لعلم الأصوات وقائم عليه، ولا صرف بلا أصوات، ولا يُمكنُ الفصل بينهما في الدراسة إلا لأغراض منهجية^(١٧٠)..

إنّ العلاقة بين النّظامين الصّوتيّ والصّرفيّ في أية لغةٍ علاقةٌ متينة؛ لأنّ أغلب الموضوعات الصّرفية قائمة على قوانين صوتية مجتة؛ فلا يُمكنُ دراسة بنية الكلمة وما فيها من تحوُّلاتٍ وتبدُّلاتٍ من دون دراسة أصواتها ومقاطعها وحركاتها؛ لأنّ أيّ تغيّرٍ يطرأ على بنيتها من إعلالٍ وإبدالٍ إنما يتولّد عن التأثير الصّوتيّ المتبادل في الاستعمال اللغويّ المتعارف عليه في كلّ لغةٍ^(١٧١).. ومن ثمّ دعا علماء اللغة المُحدثون إلى ((وضع منهجٍ مُتكاملٍ للدّرس اللغويّ، أبتداءً من الأصوات، إلى الصّبيغ، إلى التراكيب، مُروراً بكلّ مُستويات البحث))^(١٧٢)..

المبحث الثالث

التلويّنات الصوتية وموسيقى الألفاظ المفردة ورجع أصدائها على رسم الأحداث وتصوير المشاهد

إذا ما عرفنا مدى العلاقة الحميمة بين النّظامين الصّوتيّ والصّرفيّ؛ فسنعرف حتماً حينها بأنّ ((الحروف الهجائية إليها تُحلّل الكلمات اللغوية، فما من لغةٍ في الأرض إلا وأرجعها أهلها إلى حروفها الأصلية، سواءً أكانت اللغة العربية أم اللغات الأعمجية، شرقية وغربية؛ فلا صرف، ولا إملاء، ولا أشتقاق.. إلا بتحليل الكلمات إلى حروفها، ولا سبيل لتعليم لغة

وفهمها إلا بتحليلها، وهذا هو القانون المسنون في سائر العلوم والفنون ((^(١٧٣)..)) (وهل اللغات والتعبيرات الكلامية إلا رُموزٌ اصطلاحية يستعملها الناس، فإذا وجدناهم قد استعملوها في كلامهم للدلالة على ما يقصدون من معانٍ، وحصل فيما بينهم التفاهم بها؛ كانت من عناصر لغاتهم لا محالة، ولا داعي لإدخال الرأي في الأمور الخاضعة لما يصرح عليه الناس)) (^(١٧٤)..)

وفي هذا السياق يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني رحمه الله (ت ٤٧١هـ) رائد نظرية «النظم» بأبهي حُللها: ((إنَّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها؛ ولكن لأن يُضَمَّ بعضها إلى بعض؛ فيُعرف فيما بينها فوائدُ.. وهذا علمٌ شريف، وأصلٌ عظيم)) (^(١٧٥)..) وعليه؛ فإنَّ مهمة الكلمات المفردة في العربية لم تقتصر - منذ نشأتها - على وظيفة الإشارة «التسمية» فقط؛ بل كان الاضطلاعُ بوظائف الإخبار «الاتصال» واحداً من أجلِّ مهامها (^(١٧٦)..)

هذا من حيث النظم.. أما من حيث المفهوم العامُّ للبلاغة؛ فإنها - أعني البلاغة - تصلحُ أن تكون صفةً للكلمة وهي مفردة، وصفة لها وهي مؤلَّفة أو منظومة في تركيب مفيد؛ فبلاغتها وهي مفردة جمالٌ ذاتيٌّ؛ فتمَّ بذلك جمالٌ للكلمة مُنبجسٌ من أعماق وضعها اللغويِّ وبنائها الذاتيِّ الذين يمنحانها كلَّ هذا الرنين الموسيقيِّ والبعد الصوتيِّ؛ أي إنَّ ألفاظاً كهذه تعتمد قوة الجرس الذاتية في بنائها اللفظيُّ أداة للتعبير والإيحاء.. أما بلاغتها وهي في سلك الجملة أو التركيب؛ فنابعةٌ من حُسن استغلال هذا الجمال الذاتيِّ بحُسن اختيار المكان الملائم والتناسق والتنسيق فيما بينها وبين جاراتها؛ فتمَّ بذلك جمالٌ للكلمة لا يعلن عن نفسه إلا والكلمة في أطارٍ متناسقٍ.. وهذا ما عبَّر عنه شيخُ البلاغيين الجرجانيُّ رحمه الله؛ مُسدلاً السِّتارَ على كلِّ طاقات الكلمة وهي في حال تعايشٍ أخاذٍ مع جاريتها (^(١٧٧)..)

هذا، وقد أمتازت اللغة العربية بالموسيقية؛ فجميعُ ألفاظها ترجع إلى نماذج من الأوزان الموسيقية الثابتة، والكلام العربي نثراً كان أم شعراً هو مجموعٌ من الأوزان، ولا يخرج عن أن يكون تركيباً معيناً لنماذج موسيقية.. وقد أستمثر الشعراء والكتاب العرب هذه الخاصية الموسيقية؛ فقابلوا بين نغمة الكلام وموضوعه مقابلة لها أثرٌ واضح من الوجهة الفنية.. فمثلاً يقول النابغة الذبياني:

ميلوا إلى الدار من ليلي نُحِيَّها نعم، ونسألها عن بعض أهلها

إذ ينقلك إلى جوِّ عاشقٍ يهيم ويتأمل وتهفو نفسه برقّةٍ وحنانٍ إلى آثار الحبيب؛ بما في البيت من نعومة الحروف، وكثرة المدود، وحسن توزّعها، وجمال تركيب الألفاظ!!
ويقول البُحْثُريُّ متحدثاً عن الذئب:
عوى ثم ألقى فارتجزت فهجته فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد

إذ ينقل تتابع حركات الذئب السريع في ألفاظٍ قصيرة الأوزان، متوالية الحركات كحركات الموصوف!!

لقد شغف العرب منذ العهد الأول بموسيقى الألفاظ، وأجتهدوا في تخليصها مما يُفقدُها التلاؤم أو التكافؤ بين حروفها وحركاتها، كما حرصوا الحرصَ كلّه على موسيقى العبارات، وأهتموا بانسجام الكلمات في داخلها من الناحية الصّوتية؛ بحيث تُؤلّف بمجموعها نَعْمًا تشنّف به المسامع، وتطرب له الآذان، وتقبل عليه النفوس والأفتدة!!

إنّ هذا التلذذُ الدّوّقيّ في اللغة من حُسْن جرس الألفاظ، وإيقاعها، ورنينها، ولحنها الموسيقيّ.. كان دأباً وديناً للعرب منذ عهدٍ سحيق؛ ففيما قبل الإسلام كان الخطيبُ إلى جانب الشاعر في حُظوةٍ ومقامٍ عظيم لا يُضاهيه أيُّ مكانٍ آخر، مُعتلياً عرشاً من الرّفعة والسُّموق، ومُتوّجاً على إمارة مملكةٍ من البيان بما أوتي من الحكمة وفصل الخطاب، وكان - بلا مُنافسٍ ولا مُضاهٍ - صاحبَ الكلمة العليا في القبيلة!! وما مُعلّقاتُ فحول شعراء الجاهلية التي سَطَرَتْ بماء الذهب، وعُلّقتْ بوقارٍ على أستار الكعبة إلا شاهدٌ حيٌّ على هذا الوله اللامتناهي!!

وكان البيان القرآنيّ الفريد - وقد أنزل على عادة العرب، وأنماط عيشهم، ومألوف بيئتهم، وأفانينهم في القول، وسننهم في الخطاب، مُتحدّياً إياهم أن يأتوا بسورةٍ من مثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً - كان قد أهتمّ هو الآخر بموسيقى اللفظة، وحرص أشدّ الحرص وأبلغه على تحقيقها؛ فوافق ذلك هوىً لدى العرب ذوي الأحاسيس الرقيقة المرهفة، والأرواح المتسامية المهفافة، والنفوس التوّاقة الدّوّاقة.. وبذا قضى لأذواقهم الشفيفة وطراً وهم المولعون بسحر الكلمة، الناشدون لحنّتها وعدوبة وقعها!! وحين مرّونا على صناعة المثور والمنظوم،

وَرَشَحَتْ أَقْدَامُهُمْ فِيهَا؛ كَانَ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَى نَفْسِهِمْ أَنْ تَصْدُرَ عَنْهُمْ الْعِبَارَاتُ الْمُتَنَاغِمَةُ الَّتِي تَتَعَادَلُ وَحِدَاتُهَا الصَّوْتِيَّةُ، وَتَتَوَافَقُ مِنْ حَيْثُ الْأَوْزَانُ^(١٧٨) ..

لقد بلغت هذه الخاصية الموسيقية ذروتها في التركيب القرآني؛ فأنت تُحِسُّ - مثلاً في

سُورَةِ الْعَادِيَاتِ - عَدُو الْخَيْلِ ﴿وَالْعَدِيدَتِ صَبِيحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِبَتِ قَدَحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَتِ صَبِيحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرَنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوْسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ [سُورَةُ الْعَادِيَاتِ] !!

وتتنوع مجالات الأوتار الصوتية والأنغام الموسيقية في القرآن المجيد بتنوع المجالات التي تتطرق إليها وتعدّد المشاكل والقضايا التي تُعالجها - وما أكثرها!! - فحينما نسمع قوله ﷻ:

﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سُورَةُ الْمُؤْتَفِكِينَ]؛ فَسُرْعَانَ مَا نَسْتَشْفُ جَرَسًا إِيحَائِيًا تَوْصِيًّا مِنْ خِلَالِهِ دَلَالَةٌ تَلِكُ الْأَصْوَاتِ الَّتِي تَصُكُّ الْأَسْمَاعُ بِلُغَةِ الْمَوْعِظَةِ وَالْوَعِيدِ؛ فَتَخْشَعُ لَهَا الْقُلُوبُ، وَتَهْتَشُّ لَهَا النُّفُوسُ، وَتَخْضَعُ لَهَا الْأَلْبَابُ، وَتَقْشَعُرُّ مِنْهَا الْأَبْدَانُ ثُمَّ تَلِينُ، وَتَتَحَسَّسُ مِنْهَا الْأَفْتَدَةُ!!

أما في مجال الخشية والرّهبة؛ فقد قال ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ

الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [سُورَةُ طٰهٍ] .. وهذا مُتَأَتِّ مِنْ الْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي يَشْعُرُ بِدَلَالَتِهَا الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ وَهِيَ تَخَاطَبُهُمْ بِهَذِهِ الْأَصْوَاتِ الْمُوْحِيَّةِ بِالتَّوَارِيهِ وَالِاسْتِتَارِ، وَالَّتِي أَخْجَلَتْهُمْ حِينَ سَمَاعِهَا، وَتَرَكَتْ فِيهِمْ مِنَ الْأَثَرِ النَّفْسِيِّ الْمَقْدَارِ الْعَمِيقِ^(١٧٩) .. ((في بعض مواقف الدّعاء القرآنية نداوةً وليناً^(١٨٠)، وفي بعضها الآخر صخبٌ رهيب!! ها هو ذا نوح ﷺ يدأب ليلاً ونهاراً على دعوة قومه إلى الحقِّ، ويُصِرُّ على نُصْحِهِمْ سِرّاً وَعِلَانِيَةً، وَهُمْ يَلْجُؤْنَ فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَيَفْرُؤْنَ مِنَ الْهُدَى فِرَاراً، وَلَا يَزِدَادُونَ إِلَّا ضَلَالاً وَأَسْتِكْبَاراً..

فما على نوح - وقد آيس منهم - إلا أن يتملّكه الغيظ، ويمتلئ فوه بكلمات الدّعاء الثائرة الغضبي تنطلق في الوجوه مديدة مُجَلْجَلَةٌ بِمُوسِيقَاهَا الرَّهِيْبَةِ، وَإِيْقَاعِهَا الْعَنِيفِ، وَمَا أَظُنُّكَ تَتَخَيَّلُ الْجِبَالَ إِلَّا دَكًّا، وَالسَّمَاءَ إِلَّا مُتْجَهِّمَةً عَابِسَةً، وَالْأَرْضَ إِلَّا مُهْتَرَّةً مَزْلُزَلَةً، وَالْبِحَارَ إِلَى هَائِجَةٍ نَائِرَةٍ، حِينَ دَعَا نُوْحَ ﷺ عَلَى قَوْمِهِ بِالْهَلَاكِ وَالتَّبَارِ وَقَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ

الْكَافِرِينَ دِيَارًا ﴿٦٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَجْرًا كَفَّارًا ﴿٦٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ
وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا ﴿٦٨﴾ [سُورَةُ نُوحٍ] !!

أما الحناجر الكظيمة المكبوتة التي يتركها القرآن في بعض مشاهدته تطلق أصواتها الحبيسة بكل كربها وضيقها ومجتها وحشرجتها؛ فهي حناجر الكافرين النادمين يوم الحساب العسير.. ولنا الآن أن نتمثل شِرْذِمَةً من أولئك المجرمين تلفح وجوههم النار؛ فيتحسرون، ويحاولون التنفيس عن كَرْبِهِمْ ببعض الأصوات المتقطعة المتهدجة؛ كأنهم بها يتخففون من أثقال تنقض ظهورهم، ويُفرغون عن طريقها ما يعانون من عذاب أليم كما يُفرغ الموسوم سوء العذاب آهاته وأنيته، وإذا هم يوم الدين يدعون رَبَّهُمْ دُعاء التائبين النادمين ويقولون: ﴿... يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ [سُورَةُ الْأَنْجُرَاتِ] !! ((^{١٨١})..

وفي وصف صوتي فريد لحال المنافقين وما هم عليه من اللجلجة والدذبذبة والتردد ذهاباً وإياباً، وأرتفاعاً وانخفاضاً بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين، طفق القرآن الكريم يشجونا بأوتاره الموسيقية العذبة، راسماً بيضع كلماتٍ مُعجزة صورة واقعية أمينة تكيل عن رسمها الأسفار، وتنوء في تصويرها المُجلدات.. قال ﷺ: ﴿مُذَبَذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴿١١٣﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ]، ولا أدري بأيهما أبدأ أم إلى أيهما ألتفت، إلى لفظ الدذبذبة وما فيه من تكريرٍ دال على عَمَهُمْ وَحَيْرَتِهِمْ وَأَضْطِرَابِهِمْ أم إلى المدود المتوالية الصاعدة في نبرتها تارة، والنازلة أخرى، كأنها مُخططٌ لرسم رياضي بياني؛ راسمة موقف اللاموقف لمن ليس لديه موقف من المنافقين وكلِّ إمعة على شاكلتهم!!

وقال ﷺ: ﴿وَلِإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ [سُورَةُ

الْحَبَّةِ الْكُبُوتِ]؛ إذ أستعمل القرآن الكريم لفظة «أوهن» دون «أوهى» لتحدث واقعاً خاصاً ووقعاً مؤثراً يُشعرُ بالضعف المتناهي؛ وذلك لما يُفرِّزُهُ أقصى الحلق من التصاق وغُنة لا تتأتى بضم الألف المقصورة إليها صوتياً «أوهى»!! وحينئذٍ تبلغ اللفظة الأسماع، وتصكُّ الآذان، حاملةً معها لونا باهتاً للعجز مُؤكداً بضم هذه النون.. وهذا كله إنما كان بتأثير مباشر من دلالة اللفظ

وإيحائه الصوتي؛ إذ أحدثت فيه النون - وهي من الصوامت الأنفية - صدىً وإيقاعاً، وأضفت إليه جرساً ورنيناً ما كانت الألف المقصورة لتحدثه في حال حُلُوها محلّ النون، وهي صوتٌ حلقيٌّ خالص لا غنةً معه، ولا ضغط، ولا إطباق!! وما كان هذا التشبيه المعجز ل يتمّ بهذا الشكل، أو يبلغ هذا المستوى، أو يتسنى له كلُّ هذا الأثر المؤثّر لولا هذا الانتقاء الصوتيُّ الموفق لللفظ (١٨٢)..

ولفظ «الزحزحة» في قوله ﷺ: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحَّجٍ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ]، وقوله ﷺ: ﴿فَمَنْ زُحَّجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [سُورَةُ الْكَهْفِ] [يُوحى للسامع بصوته صورة الزحزحة المعروفة كاملةً مُتحرّكة عبر لفظةٍ مفردةٍ موحيةٍ مُعبّرة!! ف((صوت ﴿زُحَّجَ﴾ أبلغ من «زُحَّح»؛ لِما فيه من التكرار.. وفيه تصويرٌ لمعنى تراجع الخطى أن تتزلف القوم؛ فيهبوي صاحبها في النار؛ إذ إنّ في تكرير صوتي «الزاي»، و«الحاء» إيجاءً بهذا المعنى، فالذي يُعاني من شيءٍ ثقيلٍ على نفسه؛ يُكرّر مثل هذين الصوتين؛ ولا سيّما «الحاء» الاحتكاكي المهموس!!

وقد تظهر هذه الدلالة على اللفظة وهي مُفردة؛ لكنّ التعبير القرآني - لِما بين ألفاظه من قوّة أنسجامٍ صوتيٍّ - يجعل السمع أكثر تحسّساً لإدراك صورة المعنى.. ففي الآية الكريمة صوتان مُتقاربان في المخرج؛ هما: «الحاء»، و«العين» في قوله ﷺ: ﴿ه ه ه ه!! ويومئ هذا التقارب - الذي يتأنى اللسان فيه بدقّة - للحظة الحرجة للزحّ والانفراج عن حافة الهاوية!!)) (١٨٣)..

ولفظة «إثاقلتم» في قوله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [سُورَةُ الْبُنُورِ] [تسمعها الأذن؛ فيتصور الخيال ذلك الجسم المُتثاقل ليس بصوته؛ وإنما بتأليف حروفه، وبالبعد الصوتيّ الناتج من خلال هذه الحروف المُتثاقلة.. ولو أنك قلت: «ثاقلتم»؛ لخفّ الجرس، ولضاع أثر التشرد، وتواترت الصوورة المطلوبة التي أشغل اللفظ برسمها.. وعلى ما في كلمة ﴿أثَاقَلْتُمْ﴾ من صعوبة واضحة في النطق، وثقل بيّنٍ على السامع لا يحسهما الإنسان في الكلمة الأخرى «ثاقلتم»؛ لكن الأولى بتشكيلها الصوتيِّ ضروريةٌ في موطنها الذي وردت فيه!!

ولفظة أخرى طويلة في حروفها؛ لكنّها جميلةٌ بصوتها، مُناسبةٌ بتسلسل حروفها؛ كما في قوله ﷻ: ﴿ك ك ك ك ك ك ك ك ك﴾ [□ ك]، وقوله ﷻ: ﴿وَحَاجَهُ قَوْمُهُ قَالَ أَمْتَحَجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَنْتَنِي﴾ [سُوْرَةُ الْأَنْعَامِ]، وقوله ﷻ: ﴿فَكَبِكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [سُوْرَةُ الشُّجُرَاءِ]... فكلمة ﴿فَكَبِكِبُوا﴾ كأخواتها يُحدثُ جرسُها صوتَ الحركة التي تتمُّ بها، ويُصورُها للسامع أدقَّ تصويرٍ وأتمّه وأوفاه!!

لقد حفل القرآن الكريم بهذه الظاهرة الصوتية، وكان لها أثر مباشر وكبير في الدلالات المعجمية لألفاظه، وفي المعنى العامّ للتعبير؛ إذ نراه ((يستعملُ الألفاظ ذات الجرس الموسيقيُّ الناعم الرَّخِيّ، والسَّلسِ المُوحي في المواضع التي يشيع فيها جوُّ من الحياة الهانئة السعيدة الجميلة... ويبدو العكس في مواضع كثيرة أخرى؛ إذ قد تُسمُّ الموسيقى بالقوَّة والشدَّة المناسبة للمعنى الذي أراد تصويره وبيانه!!))^(١٨٤)..

وبذا نجدُ من التلوينات الصوتية في آي الذكر الحكيم ما يتعلَّق بالحكاية الصوتية في جانب حكاية الصوت لمعناه ودلالته؛ فيتعاقب الصوتُ مع الصورة معاً لأداء لوحه دلالية غاية في الجمالية والتنسيق الدلالي؛ كما في الألفاظ: ﴿حَصَّصَ﴾، و﴿رُحِحَ﴾، و﴿زُلْزِلَتْ﴾، و﴿صَرَصِرَ﴾، و﴿فَكَبِكِبُوا﴾، و﴿الْوَلْوُؤُ﴾، و﴿مُدْبِدِينَ﴾؛ وبذا ((أسهمت التلوينات الصوتية بشكلٍ واضح ومُميِّز في عملية أنتقاء المفردة القرآنية في السياقات الجزئية والكلية؛ وذلك من حيث إبراز القيمة الصوتية لهذه المفردة أو تلك في أتلاف أصواتها، وأداء دلالاتها.. وهذا الانتقاء الدقيق يُراعى فيه فنيَّة التعادل الصوتيِّ للمفردة وتعاضدها بشكلٍ دقيق مع نظائرها السابقة واللَّاحقة في إطار السياق المُوظَّفة فيه.. كما إنَّ توظيف الكلمات المُؤلَّفة من أحرفٍ كثيرة مما يُستثقل في النَّصِّ البشري قد تمَّ توظيفها بشكلٍ فريد حين عانقت التلوين الصوتيِّ في السياق القرآني؛ فبرزت هذه الكلمات القرآنية الطويلة على أتمَّ ما يكون من التوظيف، وأجمل ما يكون من الإيحاء الدلاليِّ، وأبهى ما يكون من النِّظم السِّيَاقِي))^(١٨٥)؛ كما في الألفاظ الكريمة: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمْ﴾، و﴿أَنَا قَلْتُمْ﴾، و﴿أَذَارَكُوا﴾، و﴿أَمْتَحَجُونِي﴾..

وهناك مقاطع صوتية أخرى عديدة مُعرَّقة في الطول والمدِّ والتشديد، ومع ندرة صيغ مثل تلك المُركَّبات الصوتية في اللغة العربية - حتى أنها لتكاد تُعدُّ بأصابع اليد -؛ فإننا نجدُ

القرآن الكريم لم يُعدّم منها؛ إذ أستعمل في سياقاته المعجزة أفخمها لفظاً، وأعظمها وقعاً، وأستوحى من دلالاتها الصّوتية وأوضاعها اللغوية مدى حدّتها وشِدَّتْها، أو رَقَّتْها وهدوئها.. ومن بين أهمّ تلكم الألفاظ الصّوتية الموحية المعبرة: ﴿الْحَاقَّةُ﴾، و﴿الطَّامَّةُ﴾، و﴿الصَّاخَّةُ﴾... وهذه الكلمات تسترعي - حين السماع - الانتباه وتشدُّه نحوها، كما تستدعي - حين الأداء - نسبة عالية من الضغط الصّوتيّ لأداء الإعلان والجهاز المُفضي إلى سماع رنينها الإيقاعيّ المُجلجل، والمُوحى بالكرب العظيم، والمُنْبئ عن الشدّة المُتناهية، والمُنذرة بالخطر الدّاهم والمهمّ الدّائم، وما إلى ذلك من إيجاءاتٍ ودلالاتٍ تتوافق نسبياً مع أصل أوضاعها اللغوية ومُوسيقاها المُتميّزة بجلجلة الصّوت وشدّة الإيقاع.. ومُصاقبة الشدّة الصّوتية للشدّة الدلالية يستين لنا التوافقُ والتواشُجُ والوثام بين الصّوت النُطقيّ والمعنى الحقيقيّ!!

فالدلالة الصّوتية للفظ ﴿الْحَاقَّةُ﴾ في قوله ﷻ: ﴿الْحَاقَّةُ ۙ (١) مَا الْحَاقَّةُ ۙ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ

﴿٢﴾ [سُورَةُ الْحَقْلَةِ] توحى لكلّ من يسمعا بمُضُور يوم القيامة بكلّ ما فيه من شدائد وأهوال تجعل الولدان شيباً، وتذهل المُرضعة عمّا أرضعت، وتُثري ذات الحَمَلِ وقد أَلقت ما فيها من حَمَلٍ وتخلّت، وتذر الناس في هَرَجٍ ومَوَجٍ ومَرَجٍ، لا من سُكْرٍ ولكنّ عذاب الله شديد!! يقال: حقّت القيامة؛ إذا أحاطت بالخلائق؛ فهي حاقة^(١٨٦)..

والملاحظ في قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ۙ (٣٤)﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ] أنّ صوت الطاء

في لفظ ﴿الطَّامَّةُ﴾ قد فرض على سائر الآية حُضُوراً واضحاً؛ ليعبر أكثر من سواه من سائر حروف اللغة عن المعنى المراد، ويُلقى عليه ظلاله الكثيفة وصورته الدّاكنة؛ حيث يوم القيامة بأهواله التي تُحفز الخلائق على الفرار إلى حيث لا وجهة.. ولا مفر!!

ولم يكتف الحرف الثقيل بمُجرّد وُرُوده في الآية الكريمة؛ بل جاء مُشدّداً؛ ليكون أشدّ في التخويف والتحذير، وأبلغ في الترهيب والندير!! ومما زاد من رُسُوخ المعنى: وُجُود صوت المدّ؛ لِيُوحى بأنّ الطّامّة قد غطّت كلّ موجودٍ على هذا الكون الفسيح من سماءٍ مرفوعة، وجبال منصوبة، وأرضٍ مبسوطة... فهي تأتي على ذلك كلّه وتطمّئه، وهي تضمّ بين جوانحها وتشتمل بين لابتها كلّ هائلة^(١٨٧)!!

وما قيل عن ﴿الْحَاقَّةُ﴾، و﴿الطَّامَّةُ﴾ يُقال - أو قريب منه - عن ﴿الصَّاخَّةُ﴾ أيضاً^(١٨٨)!!

ومن تلك التلوينات الصوتية البديعة الأخرى سوى ما تقدّم: ما جاء في قوله ﷻ:
﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ [سُورَةُ الْقَارِعَةِ]؛ فإنّ الكلام مُستمرٌّ
في ذكر القيامة، و«القارعة»: البلبلة التي تفرع القلب.. وأنت تسمع لفظة «القارعة» تتكرّر
ثلاث مرّات كأنها صوتُ الضرب بالمقرعة!! وأشتملت اللفظة على القاف والعين؛ وهما -
عند الخليل - أطلق الحروف وأضخمها إيقاعاً وريناً^(١٨٩)؛ لأنّ المقام يقتضي جرساً عالياً يقرع
بشدّة الكفر وأهله^(١٩٠)..

ومنها أيضاً: لفظة ﴿مُدَشِكُونَ﴾ في قوله ﷻ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُدَشِكُونَ
وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٢٩﴾ [سُورَةُ الزُّبُرِ]؛ إذ دلّت تلك اللفظة بحكم تركيبها
الصوتي، ونغمها الموسيقي، وإيجائها الجرسيّ على المخاصمة والجدل، ولا ريب أنّ اختيارها
منظورٌ فيه بعنايةٍ وقصدٍ إلى تشكيلها الصوتي؛ إذ ((جمعت في الكلمة حروفُ الأسنان
والشّفة... التاء والشّين والسّين تعاقباً، تتخلّلها الكاف؛ فأعطت هذه الحروفُ مجتمعةً نغماً
موسيقياً خاصاً حملها أكثر من معنى الخصومة والجدل والنقاش بما أكسبها من أزيزٍ في الأذن
الذي يبلغ بالسّامع إلى أنّ الخصام قد بلغ درجة الفورة والعنف من جهة، كما أحاطه بجرسٍ
مهموسٍ خاصٍ يُؤثّر في الحسّ والوجدان من جهةٍ أخرى!!))^(١٩١)؛ ليُوحى بالدلالة على
الحزن والأسى على هؤلاء المُتَشاكسين!! وهذا الإيجاء الصوتي مُرادٌ هنا؛ إذ ((كان البيان
القرآنيّ قد أهتمّ بموسيقى العبارة، وحرص أشدّ الحرص على تحقيقها))^(١٩٢)..
ومنها أيضاً - والأمثلة والشّواهد أكثر من أن تُحصى - ما أشتمل عليه قوله ﷻ:

﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ]،
وفي هذا السياق يقول ابن القيم رحمه الله: ((ولما كانت الوسوسة كلاماً يُكرّره الموسوسُ
ويؤكّده عند من يلقيه إليه؛ كرّروا لفظها بإزاء تكرير معناها؛ فقالوا: وسوس وسوسة؛ فراعوا
تكرير اللفظ؛ ليفهم منه تكرير مُسمّاه.. ونظيرُ هذا ما تقدّم من مُتابعتهم حركة اللفظ بإزاء
مُتابعة حركة معناها؛ كالدوران، والغليان، والنزوان وبابه.. ونظير ذلك: زلزل، ودكدك، وقلقل،
وكبكب الشيء؛ لأنّ الزلزلة حركة مُتكرّرة، وكذلك الدكدكة والقلقلة، وكذلك كبكب الشيء؛
إذا كبّه في مكان بعيد؛ فهو يُكبُّ فيه كبّاً بعد كبٍّ؛ كقوله ﷻ: ﴿فَكَبِكُوا فِيهَا هَمَّ وَالْغَاوُونَ ١٤﴾

[سُورَةُ الشُّجُرَاءِ]، ومثله: ررضه؛ إذا كرر رضه مرة بعد مرة.. ومثله: ذرذره؛ إذا ذره شيئاً بعد شيء، ومثله: صرصر الباب؛ إذا تكرر صريره، ومثله: مطمط الكلام؛ إذا مطه شيئاً بعد شيء، ومثله: كفكف الشيء؛ إذا كرر كفه.. وهو كثير ((١٩٣)..

مما تقدم نخلصُ إلى نتيجة مهمة، مفادها أن ((هذا القرآن - في كلِّ سورة منه وآية، وفي كلِّ مقطع منه وفقرة، وفي كلِّ مشهد منه وقصّة، وفي كلِّ مطلع منه وختام - يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى، مملوء نغماً؛ حتى ليكون من الخطأ الشديد في هذا الباب أن نفاضل فيه بين سورة وأخرى، أو نوازن بين مقطع ومقطع... وإن هذه الموسيقى الداخلية لتنبعث في القرآن حتى من اللفظة المفردة في كلِّ آية من آياته؛ فتكاد تستقل - بجرسها ونغمها - بتصوير لوحة كاملة فيها اللون زاهياً أو شاحباً [كذا]، وفيها الظل شفيفاً أو كثيفاً [كذا] (١٩٤)... فإن يك هذا كله في اللفظة المفردة تُعبّر مستقلة عن لوحة كاملة، فكيف بالآية التي تتناسق في جوها الكلمات، أو في السورة التي تتسجم حول فكرتها جميع الآيات؟!)) (١٩٥)..

كلُّ ذلك يُفضي في نهاية المطاف إلى أن واحداً من أهم الجوانب العامّة التي تمتاز بها بيانات القرآن الكريم: ((الكمال في اختيار كلِّ لفظٍ بحيث يُؤدّي المعنى على أدقِّ وجه وأوفاه بما لا يُؤدّيه لفظ آخر.. وكذا الاختيار الدقيق للألفاظ المترادفة بحيث تُميّز بين أدقِّ الفروق في المعنى، وبحيث إذا أُستبدل اللفظ بمرادفه؛ فقد النَّصُّ عمق معناه، ودقّة تصويره، وجمال جرسه)) (١٩٦)..

ومجسّب ما يرى بعضُ الباحثين؛ فإنَّ أصلَ الوضع اللغويّ وتركيبية البناء الذاتي لتلك الألفاظ وأمثالها هما اللذان يمنحانها كلَّ هذا الرنين الموسيقيّ والبعد الصوتي؛ أي إنَّ ألفاظاً كهذه تعتمد قوة الجرس الذاتية في بنائها اللفظي أداةً للتعبير والإيحاء، وما أستخدم القرآن الخاصُّ لها دون سواها في سياقاته المعجزة إلا لما أمتازت به عن غيرها من موسيقى ذات إيقاع مُشجِّج تهمسهُ السماء في أذن الأرض؛ فإذا بها قد أهترت وربّت؛ تناغماً مع تلك الأوتار العذبة (١٩٧)..

المبحث الرابع

نماذج مختارة لطائفة من الأحرف المجردة والمقاطع الصوتية وما تبعته في النفس من إيحاء عميق

سبق لي بيان أن اللفظ المجرد، بله الرمز الصوتي - مهما تمتع بنصيب عريض وحظ وافر من الوقع والجرس والموسيقى - عاجز عن إسعافنا بما يمكن من خلاله التعرف على قرائن الأحوال، أو الإعراب عن خلجات النفوس ومكونات الضمائر؛ بل لا بد له من استعمال دال؛ إذ تكتسب الرموز اللغوية قدرتها الإيحائية عن طريق الاستخدام، والكلمة أقل عناصر اللغة ذات الدلالة، وليس هناك معنى مُحدّد لصوت السين، أو صوت الصاد، أو أي صوت آخر ما لم يندرج ضمن كلمة دالة، وتندرج تلك الكلمة ضمن تركيب مفيد^(١٩٨)..

وكما وافق القرآن الكريم لغة العرب في كثير من أساليب التعبير وسنن الخطاب وأفانين القول؛ فقد خالفها في مناسبات عديدة أخرى ليستقل بخصيصات كريمة يمكن إدراجها في باب الإعجاز فسيح الأرجاء؛ لذا يتوجب علينا أن ننأى به عن كثير من جوانب التقعيد الثابتة والمُطرّدة لتلك اللغة، ونترفع به عنها، ونتسامى ببعض ما ورد فيه عن كثير مما ورد فيها.. من ذلك أن الأحرف المفردة المجردة هامةٌ عديمة الحياة والحركة في نُصوص اللغة وعباراتها إلا ما ندر؛ في حين نجدها نابضةً بالحياة والحركة بمجرّد وُرودها هنا أو هناك في أرجاء آي الذكر الحكيم!!

ومن هنا لم يقتصر وُرود الظواهر اللغوية والتلويينات الصوتية في آي الذكر الحكيم على الكلمات والتراكيب؛ وإنما تعدّتها إلى الأحرف المفردة المجردة؛ فهي الأخرى قد أحدثت - حين التلّفظ بها في غير ما موضع من أماكن وُرودها - رنيناً وجرساً تعجز عن مُجاراتها أو مُباراته الجُمْل الطّوال!! «ص، ق، ن» هذه ثلاثة أحرف جاءت مفردة في بدء السور التي أفتحت وسميت بها، نلاحظ في كل منها نغماً موسيقياً متكاملًا له مطلع، وله قرار، ومطلعه يلتقي مع قراره، كأنه نبع ماء يتدفق في غدير!!

هذا ما تعيشه أحاسيسك، وتجده أذناك إذا ما أرعت السمع، وأحسنت الإنصات للحرف الكريم «ن»!! مطلع رائع، وقرار مكيّن يُلائم الفم من أقصى الحلق إلى مُلتقى الشفتين.. ومن الملاحظ من الآيات المختومة بهذا الحرف الكريم أن لصوت النون مزيةً نفسيةً صوتيةً ظاهرة في العنة والثمك في التطريب؛ لتناسب قداسة القرآن، وقوة تأثيره، وعمق مدلولاته، وعظمتها في النفوس، وهيبته في القلوب^(١٩٩)!!

والشأن ذاته في الحرفين الكريمين: «ص»، و«ق».. ولو أنك تحيَّرتَ بنفسك حرفاً آخر سوى المذكورة، وقلبتَ حروفَ المعجم كلها؛ فلنْ تعثرَ ألبتة على حرفٍ رابعٍ يشارك هذه الحروفَ خاصيتها، أو يُزاحمها مكانها في أداء هذا النَّعم الموسيقي الذي يُؤدِّيهِ كلُّ منها بمُفرده حين تلاوته!!

إنَّ هذه الحروفَ الصامتة الناطقة بأبلغ بيان وأروع معنى.. مهما ذهب المرء - وإن كان واحداً من أرباب اللغة، وأوحداً من أساطينها المفوّهين - كلَّ مذهبٍ بحثاً عن بدائل عنها، ومهما عدلَّ وبدلَّ وغيرَ من أوضاع اللغة وتراكيبها وحروفها؛ فسيرتدُّ في نهاية المطاف كالأحسب، لم يستقم له نَعْمٌ موسيقيٌّ واحد يتوازن مع ما أحدثته تلك الحروف التي تحيَّرها القرآن الكريم لمطالع سُوره المباركة.. وحينها يُوقنُ أن لا بديلَ عملاً صنع القرآن وحذا في شأنها، ولا خيرة من أمرٍ غير ما اختار هو منها، ولا تبديلَ لأمر الله، ولا مُبدلَ لكلماته؛ إذ ليس وراءها ما يصلحُ لأنَّ يكون إزاءها، أو يحلَّ محلَّها^(٢٠٠)..

وهناك حروفٌ أخرى في اللغة تبعثُ أصواتها في النفس دلالة النَّعم الصَّارم، وتثيرُ موسيقاها وأصداؤها المُجلجلة صفيراً وأزيراً خلفاً لبنيتها وقعاً مُتميّزاً بين أخذانها من أصوات اللغة الأخرى الصَّوامت؛ وكان ذلك - فيما يبدو - نتيجةً ألتصاقها في مخرج الصَّوت، وأصطكاكها في جهاز السمع، ووقعها الحاصل ما بين هذا الالتصاق وذاك الاصطكاك لهذه الأصوات ذات الجرس الصارخ؛ وهي: «الزاي»، و«السَّين»، و«الصَّاد».. إذ يلحظ لدى استعراضها في العديد من ألفاظ اللغة الكريمة والقرآن المجيد - كما في ألفاظ: «الرجز»، و«الرجس»، و«الخصصة» - أنها تصدعُ بما تُؤمرُ، وأنها تُؤدِّي مهمة الإعلان الصَّريح والمباشر عن المعنى المراد في تأكيد الحقيقة؛ من خلال دلالتها الصَّوتية الجهورية المتميّزة، وهي بذلك تُعبّر عن الحزم والشدَّة والإقدام حيناً، وعن الرِّقَّة واللِّين والعناية بالأمر حيناً آخر؛ ممَّا يُشكِّل نَعماً صارماً في الصَّوت، وأزيراً مُشدداً في السمع، يخلصان إلى دلالة اللفظ، ويقودان إلى غايته، ويُفضيان إلى أداء رسالته بأمانة تامة، وإلى إبلاغه مأمته^(٢٠١)..

وحينما نقف عند حرف «الصَّاد» في قوله ﷺ: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ائْتِنَا حَصْحَصَ الْحَقِّ

﴿٥١﴾ [شُورَةُ يُوسُفَ]؛ فإننا نستمتع إلى دلالة الصَّوت المُجلجل والمدوِّي؛ إذ كانت الصاد

واضحة الصُّدُور من المخرج الصُّوتِيَّ بين حرفين؛ هما: الحاء والصاد، تكراراً في البناء الصُّوتِيَّ مرَّتين.. فكون لفظة (ئِي) واضحة الظهور كلفظةٍ مُجرَّدة له ما وراءه من المعنى الواشي بانكشاف الأمر ووضوحه التام في مسرح الأحداث على أرض الواقع!! وهنا قد يتملِّك التالي والسامع العَجَبُ لدى التأمل في سرِّ اختيار هذا اللفظ في أزيزه، ووضوح أمره، وظهور دلالاته دون ما سواه.. وحينها لا يملك إلا أن يخرَّ ساجداً؛ كرامة وإجلالاً لهذا الكلام العليِّ، وهيبة لمنزله جلَّ في علاه!!

فإذا ما شدَّدت الصاد؛ كانت دلالتها الصُّوتية أشدَّ وطناً، وإرادتها المعنوية أوضح بياناً، وأكثر لزوماً، وأبعد إمعاناً، وأبلغ استظهاراً؛ كما في قوله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [سُورَةُ الْعَنَّاكِيبِ].. فالصُّوتُ قد جاء في صيغة الإرهاب والإرعاب، وفي سياق التهديد والوعيد بدلالاته التخيلية؛ إذ قد نلمس فيه أنتزاع ما في القلوب من أسرار كوامن، أو استخراج ما علق في الأفئدة من مستوراتٍ وخفايا، أو سلخ ما أنطوت عليه النفوس من مكنوناتٍ وخبايا!!

ونجدُ في القرآن الكريم دلالاتٍ صوتيةً وصيغاً تعبيرية قوية ومترجمةً عن أحداثها العvisية بمدلولاتها اللغوية وتراكيب حروفها الموحية بالكرب والشدة والثقل؛ كقوله ﷻ: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [سُورَةُ فَطْرٍ]؛ ممَّا يُوحى بأنَّ الصُّراخ قد بلغ لدى المصطرخين في ذلك اليوم العvisب ذرُوته، ويشير إلى أنَّ الاضطراب قد تجاوز مده، وأنَّ الأصوات العالية المتداخلة والمدوية والفظيعة بدأت ترتطم بعضها ببعض؛ علَّها تجدُّ سامعاً أو مُغيثاً أو مُتنفِّساً!! فالصُّراخ في شدة بعثرة أطيافه، وتلاطم لُجج أمواجه، وتراصف أوتار إيقاعه؛ من توالي الصاد والطاء، وتقاطر الراء والحاء، والترنيم بالواو والتُّون.. يُمثِّل كلُّ ذلك لنا رنةً هذا الاضطراب المدويِّ.. والاصطرار: الصياح والنداء والاستغاثة، أفتعالٌ من الصُّراخ، قُلبت التاء فيه طاءً؛ لأجل الصاد الساكنة قبلها، وإنما فعل ذلك؛ لتعديل الحروف بحرفٍ وسطٍ بين حرفين يُوافق الصاد في الاستعلاء والإطباق، ويُلائم التاء في المخرج!!

يُتضح مما تقدّم أنّ للدلالات الصّوتية للحروف فاعلية عالية؛ إذ تخضع في معظم الأحيان لانطباعاتٍ مبعثها إحياءُ الأصوات.. ويُشكّل الصّوتُ في النسق اللغويّ مُطلقاً للوعي والتأثير؛ إذ قد يكون هناك صوتٌ بعينه، أو مجموعة من الأصوات يكون لها في النفس مغزىً، أو تبعث في قرارتها شعوراً مُعبّراً؛ وعندها تتفوّق دلالة جرس الصّوت وإيقاعه على منطوق اللغة؛ فيخرج آتئذٍ عن كونه صوتاً مَحْضاً إلى دلالةٍ تُعزّز المعنى وتُؤكّده وتُقوّيه، وتبعث فيه الحركة والحياة^(٢٠٢)!!

خلاصة الأمر أنّ الحرف بدلالته الصّوتية يُشيرُ إلى المعنى أو يُحاولُ الإيحاء به؛ بحيث يُمكننا القولُ بأنّ أصوات اللغة العربية تدلُّ دلالة قوية وأكيدة على المعاني، وغالباً ما يكون التوفيقُ رائدها وحليفها.. وعندها تُثيرُ في النفس أجواءً وتُهيئها، وتُتيح فرصاً مُلائمة لقبول تلك المعاني أو الإيحاء بها بعد التمهيد التدريجيّ لها؛ ذلك كلّهُ لأنّ الدلالة الصّوتية تلعب دوراً مهماً وتُسهمُ في مشاركةٍ إيجابية فعّالة لتوجيه معنى الكلمة والعبارة والنّص، وتحديد مداليلها جميعاً.. بيد أنّ هنالك تفاوتاً وفروقاً ملموسة في القدرة التعبيرية بين الأصوات المُختلفة في اللغة، وهذا هو السّرُّ الكامن في التفاوت واختلاف نسب التأثير في الكلمات المُعبّرة بأصواتها عن معانيها ومدلولاتها!!

إنّ لأصوات الكلمات قوّةً خارقةً في التعبير عن مدلولاتها، وإنّ الجرس الموسيقيّ لأية لفظة يلعب دوراً خاصاً يُثيرُ انتباه المشاعر الداخلية وتحفيزها للتلقّي، والنّعم من أخصّ خصائص اللفظة بوصفها صوتاً يرمز إلى المعنى..

وغير بعيدٍ عمّا تقدّم؛ فإنّ نظم القرآن الكريم ونغمه ينبعث من أسلوبه وتراكيبه وكلماته وحروفه؛ فأسلوبه فريدٌ مُعجز، وحروفه متأخية، وتراكيبه آخذٌ بعضها بعناق بعض، وكلماته ذاتُ إيقاع وذاتُ جرس تهترُّ له المشاعر، وتسكنُ عنده النفوس، وتطمئنُّ به القلوب!! وإنّ الكلمات والألفاظ في تأخيتها وأنصهارها في بوتقة التراكيب والجُمَل (Structures)؛ لتُنتج موسيقى، وتُسمع نغماً مُطرباً يختصُّ به القرآن وحده، وإنّ أيّ كلام - مهما علا صاحبه في البيان درجة ومنزلة، ومهما بلغ في اللغة شأواً ومرتبة، ومهما أخذ في السُموق وأسبابه ارتقاءً - لا بدّ أن يكون دون أسلوب القرآن - ذي النّعم الخاصّ الذي لا يُضاهيه أيّ نغم آخر في الكون - بمراحل ومراحل لا حدّ لحدّها في الدّون^(٢٠٣)..

قال ﷺ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢٠٤) [شوراء]

الإعراف].. إنَّ في دلالة أصوات الحروف والألفاظ التي نسمعها من خلال قراءة القرآن الكريم، أو أستماعه والإنصات إليه يُتلى غضاً طرياً، في هذه الأصوات من الخشوع والقدسية والراحة النفسية ما تهدأ له النفس، وتقبل عليه، وتطمئنُ لسماعه.. فأصواتُ كلمات القرآن تلجُ إلى الأعماق لتَهزَّ القوي، وتُداعِبُ المشاعر؛ فإذا بها تستزيد منه، ولا تَمَلُّ سماعه، ولو أُعيد عليها كراتٍ ومراتٍ؛ ألفتُ نفسها في ظمأ شديدٍ إليه أكثر من ذي بدء.. بخلاف سائر الأصوات الأخرى مهما شرفتُ وبلغتُ من الرِّفعة والعُلا شأواً؛ إذ تملُّها الآذان حين تكررهما وطروقتها عليها المرَّة تلو المرَّة (٢٠٤)..

المبحث الخامس

بعض المظاهر الصوتية وأثرها في البيان اللغوي والقرآني

هناك نوعٌ من التناسق الرائع بين الكلمات في الجملة الواحدة، وبين الحروف في الكلمة الواحدة.. فنظرة خاطفة إلى تلك الحروف تُرينا مدى التناسُب الطبيعيِّ فيما بينها في الهمس والجهر، والشدَّة واللين، والتفخيم والترقيق.. ممَّا يشكل أنغاماً إيقاعية متناسقة متناسبة.. وهذه الخاصية تعود - بلا شك - إلى طريقة اختيارها، وآلية سبكها، وتناسُب مخارجها.. كما إنَّ وضع الكلمة في الآية القرآنية أو الجملة العربية، واختيار موقعها، وألتئامها مع جارتها له بالغ الأثر في إضفاء هذا الجرس الخاصِّ والإيقاع المؤثِّر في نفس السامع (٢٠٥).. ومن هنا؛ فقد أهتمَّ المحدثون من الباحثين في مجال اللغة والمباحث القرآنية أيَّ اهتمامٍ بدراسة ظواهر صوتية ذكروا أنها ليستْ أصواتاً يُمكنُ تحديدها خارجها أو صفاتها؛ لأنها تكونُ أبداً مُصاحبةً للأصوات ومُلازمةً لها ومختلطة بها، وأنها ليستْ كلماتٍ أو جُملاً؛ بل هي الطريقة التي تُؤدِّي بها الكلمة أو الجملة، وأشاروا إلى أنَّ أهمَّ تلكم الظواهر: النَّبر، والتَّنغيم، والوقف، والسكت (٢٠٦)..

وينبغي أن أُشيرَ هنا إلى أنَّ السُّماتِ الصَّوتية - أو المظاهر - خاصَّة بالغة المنطوقة؛ إذ يفهم السامع في طريقة نطق المُتكلِّم وأدائه الصَّوتيِّ للعبارة المعنى المراد.. وهذا ما نجدُه ملموساً في بعض آيات القرآن الكريم الذي يُعتمدُ فيه على المُشافهة، فلو نظرنا إليه بوصفه نصّاً مكتوباً؛ فإننا لا نجد فيه علاماتٍ ترقيمٍ تدلُّ على معاني الاستفهام، والتعجب، والإنكار.. وغير ذلك

من الأساليب التي قد لا تظهر إلا بطريقة الأداء وغيرها؛ لذا كان لزاماً على المقرئ المدقق، أو القارئ المحقق أن يؤديها بطريقة تُوحى بالمعنى المطلوب.. وهذا الأمر ليس مقصوراً على القرآن الكريم، وإنما هو في كلام العرب شعراً ونثراً... فتكون طريقة الأداء بذلك جزءاً من النظام النحوي للغة^(٢٠٧)..

فإذا كان السياق بأنواعه قرينة دالة على فهم النصوص المكتوبة؛ فإن واحداً من العوامل المهمة والظواهر البارزة في فهم مدلولات النصوص المنطوقة هو طريقة الأداء اللغوي المصاحبة للجمل، أو ما يُطلق عليه اسم «التطريز الصوتي».. وظواهر هذا الأداء المصاحب المتمثلة في التّغيم، والتّبر، والجرس، والفاصلة الصوتية، أو «الوقف»..

كما تكتسب اللغات الحية رونقها وجمالها بالتّغيم إن هي اتخذته أساساً في التواصل بين الأفراد خطاباً ومحادثة!! فالتّغيم يُميّز لغة الخطاب عن اللغة المكتوبة؛ فهو في الأولى كما التّقيم في الثانية، كلٌّ منهما يقوم بوظيفة دلالية في تحديد المعنى ومزيد بيانه^(٢٠٨)..

فبالتّغيم تُحلُّ الكثير من مُشكلات الدلالة اللغوية المتعلّقة بالأصوات والسياقات التركيبية، وبه أيضاً يتمّ تعيين الصُّور التّطقية؛ وذلك من خلال قيامه بوظيفة علامات التّقيم في الكتابة، التي تُحدّد المعنى الوظيفي للجُملة؛ غير إن التّغيم أكثر توضيحاً وبيانا لهذا المعنى من علامات التّقيم، وقد يعود ذلك إلى أنّ ما يستعمله التّغيم من نغمات صوتية أكثر مما يستعمله التّقيم من علامات كتابية؛ ففي التّقيم تكون مُحدّدة، وفي حالة جامدة ليس لها تأثير التّغيم الذي يُنبه ويثير ويتطلّب حالة من الانتباه والمتابعة لما يجري؛ فهو يقوم بوظيفة دلالية بما يُصاحبه من قرائن؛ كإشاحة الوجه وتجهّمه، أو إقباله وأنفراج أساريه.. أو قد تخلو الجمل من أدوات خاصّة - كأدوات الاستفهام مثلاً - فيكون الاعتماد عندئذٍ على التّغيم في تعيين المراد بمعونة المقام والسياق، ويكون التّغيم وحده الفيصل في الحكم على نوع الجُملة ودلالاتها^(٢٠٩)..

وقد تنبّه علماء اللغة والتّحو إلى هذه الظاهرة منذ وقت مُبكر، وكانوا على وعي تامّ بأهميتها وأثرها وفعاليتها في تحديد معاني الكلام، وتوجيه دلالة الوحدات اللغوية في السياق بوصفه إشاراتٍ تخدم دلالة النصّ اللغوي في التفريق بين المعاني المختلفة للجُملة الواحدة، والانتقال الأسلوبيّ بين الأبواب النحوية والبيانية؛ غير أنهم اختلفوا في أسلوب دراسته، وفي

تحليلهم له؛ فضلاً عن تعدُّد مُسمَّياته لديهم؛ نظراً لاختلاف اتجاهاتهم العلمية في تناوله ودراسته؛ إذ إنَّ البحث في هذا المجال لم يقتصر على علماء اللغة والنحو^(٢١٠) فحَسَبُ؛ بل شمل البلاغيين^(٢١١)، وعلماء القراءات والتجويد^(٢١٢)..

أما التَّبر والتَّغيم لدى المُحدِّثين؛ فقد شغل حيزاً كبيراً في دراساتهم الصَّوتية، وأتفقت نظرتهم مع القدماء بأنَّ للتَّغيم وظائف دلالية ونحوية، فضلاً عن وظيفته الأساس - الصَّوتية - فهو لديهم وسيلة للكشف عن المعاني المختلفة، وطريق للتوجيه الدلاليِّ بحسب اختلاف التَّعمات.. وقد عُدَّت مباحثهم في هذا المجال أكثر إجابة وضبطاً؛ لاستخدامهم المُختبرات الصَّوتية في دقَّة التحليل الصَّوتيِّ؛ الأمر الذي جعلهم يُخضعون التَّحليل التَّغيميَّ لكلِّ نمطٍ لغويٍّ إلى مستويات مُحدَّدة لقياس درجة التردُّد في التَّغيم^(٢١٣)..

وقد تعدَّدت تسميات العلماء لتلك الظاهرة الجليلة؛ ولكنَّ مُسمَّها يبقى واحداً؛ فمنهم من أسماه نَعْماً وجرساً، ومنهم من أطلق عليه صفة الإيقاع والموسيقى، ومنهم من نعته بالظاهرة الجمالية.. وفي هذا السياق يقول الزُّرقانيُّ في «مناهل»: ((ونريدُ بجمال القرآن اللغويِّ: تلك الظاهرة العجيبة التي أمتاز بها القرآنُ في رصف حروفه، وترتيب كلماته ترتيباً دونه كلُّ ترتيبٍ ونظام تعاطاه الناس في كلامهم.. وبيانُ ذلك أنك إذا أستمعتَ إلى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصَّحيحة؛ تشعرُ بلذَّة جديدة في رصف هذه الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات والآيات: هذا ينقر، وذاك يصفر، وهذا يخفي، وذاك يظهر، وهذا يهمس، وذاك يجهر.. إلى غير ذلك ممَّا هو مُقرَّر في باب مخارج الحروف وصفاتها في علم التجويد!!

ومن هنا يتجلَّى لك جمالُ لغة القرآن حين خرج إلى النَّاس في هذه المجموعة المُختلفة المُؤتلفة، الجامعة بين اللَّين والشَّدَّة، والخشونة والرَّقَّة، والجهر والخفية.. على وجهٍ دقيقٍ مُحكم وضع كلاً من الحروف وصفاتها المتقابلة في موضعه بميزان؛ حتى تألَّف من المجموع قالبٌ لفظيٌّ مُدهش، وقشرة سطحية أخاذة، أمتزجت فيها جزالة البداوة في غير خشونة برقَّة الحضارة من غير مُيوعة، وتلاقت عندها أذواقُ القبائل العربية على اختلافها بكلِّ يسرٍ وسهولة!! ولقد وصل هذا الجمالُ اللغويُّ إلى قمة الإعجاز؛ بحيث لو داخل القرآنُ شيءٌ من كلام النَّاس؛ لاعتلَّ مذاقه في أفواه قارئيه، وأختلَّ نظامه في آذان سامعيه..

ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي، وذاك النظام الصوتي أنهما كما كانا دليل إعجاز من ناحية؛ كانا سُوراً منيعاً لحفظ القرآن من ناحية أخرى؛ وذلك أن من شأن الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع ويثير الانتباه ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى هذا القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتدبراً وتعاهداً ومُدارسة.. وبذلك يبقى أبد الدهر سائداً على ألسنة الخلق وفي آذانهم، ويعرف بذاته ومزاياه بينهم؛ فلا يجرؤ أحدٌ على تغييره وتبديله، مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾ [سُورَةُ الْحَجَرِ] ((٢١٤)).

إن كل عنصرٍ من عناصر البيان - ولا سيما البيان القرآني المعجز - لذو أثر مجيد في بناء المعنى وتصويره وتحبيره، قد تخفى علينا نحن بعض ملامح ذلك الأثر؛ ولكن هذا الخفاء لا يصح أن يكون مدعاةً أو أن يتخذ ذريعةً إلى نفي وجوده.. ولو أن المرء نفى كل ما لا يحسُّ أو يرى؛ لكان الأمر ناحياً منحياً، ومُنحدرًا في منزلتٍ جدٍ خطير، وداخلاً في نفقٍ مُظلم!! إن من رأس الإيمان في الإسلام وأساسه: الإيمان بالغيب؛ فوجب أن يقف المرء عند ما يعلم، غير نافٍ وجود ما لا يعلم؛ بحجة أنه لا يدرکه بحواسه القاصرة العاجزة..

فمما لا إنكار فيه أن واحداً من أهم الجوانب العامة المهمة التي تمتاز بها بيانات القرآن الكريم: ((الأساق اللفظي الصوتي الذي تدركه الأذن؛ وإن لم تفهم المعنى أو تعرف العربية.. وترتب على ذلك سهولة نطقه باللسان... وتيسير حفظه عن ظهر قلب؛ حتى يحفظه الطفل الصغير كما حفظته الأجيال.. وليس ثمة نصٌّ بهذا الطول وهذا التنوع يسره الله ﷻ للحفظ ككتابه العزيز!!)) (٢١٥).. سمع أحدهم أن امرأة أوروبية لا تتفقه العربية أصغت إلى خطيبٍ عربيٍّ كانت تتخللُ خطبته آياتٌ من الذكر الحكيم؛ فقصدت ذلك الخطيبَ مُستفهمةً عن مدى شعورها بكلام كريم من غير جنس كلامه كان يتخلل عباراته أثناء الخطبة؛ فأبأها أن ذلك هو القرآن الكريم كلام الله ﷻ!! (٢١٦)

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث المخصّص لدراسة جوانب من التلوينات والمظاهر الصوتية الواردة في لغتنا العربية وكتابتها الأكبر - القرآن المجيد - يطيبُ لي أن أوجز ما بسطتهُ في أثنائه، ولا يسعُنِي قبل أن أضع قلمي جانباً إلا أن أثبتَ طائفة من الحقائق المهمة الواردة بين دفتيه؛ وذلك عبّرَ خلاصةً دالّةً على أهمّ النتائج التي توصلتُ إليها فيه؛ فأقول وبالله التوفيق:

❁ اللغة الإنسانية كائنٌ حيٌّ يطرأ عليها ما يطرأ على الأحياء، ويعتريها ما يعتريهم، وهي أيضاً ظاهرة اجتماعية قابلة للتطوُّر والتأثر إيجاباً وسلباً، وهي حاملةٌ للقيم الاجتماعية، وهي أيضاً وعاءٌ لكلِّ ما يُبقي الصلّات الاجتماعية راسخةً..

❁ اللغة ظاهرة صوتية، الأصلُ فيها أنها نظامٌ من الرُّموز الصّوتية المنطوقة؛ فهي أصواتٌ في حروفٍ، وحروفٌ في كلماتٍ، وكلماتٌ في جُمَلٍ، وجُمَلٌ في نحوٍ، ونحوٌ في بيانٍ، والبيانُ وحدةٌ لا تتجزأ..

❁ تُعدُّ اللغة العربية - من بين سائر اللغات الإنسانية - لغةً كاملةً، مُحبّبةً، عجيبةً، تكاد تُصوِّر ألفاظها مشاهدَ الطبيعة، وتُمثّل كلماتها خطراتِ النفوس، وتكاد تتجلّى معانيها في أجراس الألفاظ، كأنما كلماتها خطواتُ الضمير ونبضاتُ القلوب ونبراتُ الحياة، وللأصوات في اللغة العربية وظائفٌ بيانية وقيم تعبيرية..

❁ أنّ للرُّموز أهميةً بالغةً في حياة البشر، واللغة إحدى هذه الرموز؛ ذلك أنّ وسائل الاستدلال في الوجود كثيرة؛ فقد تكون إشاراتٍ، أو علاماتٍ، أو رموزاً مخطوطة، أو صوراً مرسومة، وقد تكون تغيراتٍ تطرأ على شكل الإنسان ولونه ونبرة صوته ومستوى تلك النبرة ارتفاعاً وانخفاضاً؛ فتدلُّ على حالته النفسية والانفعالية.. واللغة أهمُّ هذه الدوالِّ وأكثرها إيجاءً..

❁ إنّ الرُّموز الصّوتية - الحروف - التي يتعامل بها أبناءُ الجماعة اللغوية الواحدة محدودة؛ فأكثر اللغات تتعامل كلُّ منها بحوالي ثلاثين رمزاً صوتياً، وتتعامل كلُّ اللغات الإنسانية مُجمعةً بما لا يزيد على خمسين رمزاً صوتياً، لكلِّ لغة منها نصيبٌ؛ ولكنَّ هذه الرُّموز المحدودة تُعبّر في كلِّ لغة من هذه اللغات الكثيرة عن أكثر ما يُريدُ الإنسانُ التعبيرَ عنه في كلِّ مجالات الحياة والفكر..

❁ أن اللفظ المجرد، بله الرمز الصوتي - مهما تمتع بنصيب عريض وحظ وافر من الوقع والجرس والموسيقى - عاجز عن إسعافنا بما يُمكن من خلاله التّعرف على قرائن الأحوال؛ بل لا بدّ له من استعمال دال؛ إذ تكتسب الرموز اللغوية قدرتها الإيحائية عن طريق الاستخدام، والكلمة أقلّ عناصر اللغة ذات الدلالة..

❁ كما وافق القرآن الكريم لغة العرب في كثيرٍ من أساليب التعبير وسنن الخطاب؛ فقد خالفها في مناسباتٍ عديدة أخرى ليستقلّ بخصوصياتٍ كريمة يُمكن إدراجها في باب الإعجاز؛ لذا يتوجّب علينا أن ننأى به عن كثير من جوانب التقعيد الثابتة والمُطرّدة لتلك اللغة، من ذلك أن الأحرف المفردة المجردة هامةٌ عديمة الحياة والحركة في نصوص اللغة وعباراتها؛ في حين نجدها نابضةً بالحياة والحركة بمجرّد ورودها في آي الذكر الحكيم؛ ك«ص، ق، ن»!!

❁ إنّ للدلالات الصوتية للحروف فاعلية عالية؛ إذ تخضع في معظم الأحيان لانطباعاتٍ مبعثها إحياء الأصوات، ويشكّل الصوت في النسق اللغوي مُطلقاً للوعي والتأثير؛ إذ قد يكون هناك صوتٌ بعينه، أو مجموعة من الأصوات يكون لها في النفس مغزى، أو تبعث في قرارها شعوراً مُعبّراً؛ وعندها تتفوّق دلالة جرس الصوت وإيقاعه على منطق اللغة؛ فيخرج آنئذٍ عن كونه صوتاً محضاً إلى دلالةٍ تُعزّز المعنى وتؤكدّه وتُقويّه، وتبعث فيه الحركة والحياة!!

❁ إنّ الحرف بدلالته الصوتية يُشير إلى المعنى أو يُحاول الإيحاء به؛ بحيث يُمكننا القول بأنّ أصوات اللغة العربية تدلّ دلالة قوية وأكيدة على المعاني، وعندها تُثير في النفس أجواءً وتُهيئها، وتُتيح فرصاً ملائمة لقبول تلك المعاني أو الإيحاء بها بعد التمهيد التدريجي لها.. ❁ الحروف الهجائية إليها تُحلّل الكلمات اللغوية، فما من لغة في الأرض إلا وأرجعها أهلها إلى حروفها الأصلية، سواءً أكانت اللغة العربية أم اللغات الأعجمية، شرقية وغربية؛ فلا صرف، ولا إملاء، ولا اشتقاق.. إلا بتحليل الكلمات إلى حروفها، ولا سبيل لتعليم لغة وفهمها إلا بتحليلها، وهذا هو القانون المسنون في سائر العلوم والفنون..

❁ ولا يُمكنُ لأيِّ دارسٍ تحليلُ حروف لغتنا المعطاء من دُونِ الوُقُوفِ على أصدائها الصَّوتية المتنوعة وما تبثُّه من أعماقها من إيماءاتٍ وإيجاءاتٍ دلالية شئى؛ وبذا يُمكنُ عدُّ الأصواتِ المظهرِ المادِّيِّ للغة..

❁ بالدراسة المُعمَّقة والمتأنية والتمحيص المُتدُّ للخصائص الصَّوتية لحروف العربية، وأستعراض معانيها وأستيحاء دلالاتها يُمكننا إعادةُ ترسيم الحدود، وحصر المُفارقاتِ الدلالية القائمة على أساسٍ سبرٍ عميقٍ لأبنية الألفاظ المختلفة المُؤلفة من مجموع أصوات تلك اللغة وأتلافها؛ لاستكناه حقيقة أبعادها الدلالية..

❁ إنَّ تقارب الحروف في مخارجها لا يمنحها تقارباً مُماثلاً في إيجاءاتها الصَّوتية، ولا في معانيها؛ فالحرف الشقيق إذا حلَّ محلَّ شقيقه في لفظة ما؛ لا تظلُّ اللفظة على معنى مُقاربٍ لمعناها قبل الإبدال؛ وإنما قد يُؤدِّي ذلك إلى التناقض في معانيهما في أحيان كثيرة..

❁ إنَّ الحروف - من حيث هي أصواتٌ لغوية - تحمل طبيعةً نغميةً خاصَّةً بكلِّ منها؛ فأنَّ يجد الساجع أنسجماً مع بعض الحروف دون بعض أمرٌ طبيعيٌّ بالنظر لتلك الطبيعة النغمية الخاصَّة.. ولما كان نقلُ أيِّ صوتٍ من أصوات الحروف بالتعبير عنه طبيعةً نغميةً؛ فمِن الطبيعيِّ أن ينسجم مع بعض الأصوات دون بعض، كما تنسجم بعض الأوتار الموسيقية في الآلة الواحدة وتتناغم مع أخرى قريبة منها ومُؤتلفة معها في درجة الصَّوت، في حين تُصدِرُ جلبه وضجيجاً مع بعضها الآخر ممَّا تنأى فيه تلك الدرجة أو تختلف!! لذا فإنَّ ترتيب حروف اللفظة الواحدة يجب أن يُراعى فيه أنسجامُ حروفها، وأن يكون بناؤها على سَنَنِ من هذا الأساس..

❁ يُعدُّ الصَّوتُ اللغويُّ والكلمةُ وحدتين أساسيتين في تكوين الكلام؛ إذ تتكوَّن اللغة - أية لغة - من وحداتٍ أساسية؛ هي «الكلمات»، وهذه الأخيرة تُؤلَّفها عناصر أصغر منها، تسمَّى: «الأصوات»، التي يأتلف بعضها ببعض ويتواشج في نسيجٍ كلاميٍّ مُعبَّرٍ عمَّا يدور في خلد المُتكلم من أفكارٍ ومعانٍ..

❁ الدارسُ الذي يُحاولُ الوقوف على أسرار اللغة ونظمها وظواهرها ستكونُ مُحاولاته عبثاً إن هو أقتصر في دراسته على ما وصل إليه من مُفردات؛ إذ لا بدَّ له أن يرجع بالبحث إلى الوراء ليدرس الأصول التي تتكوَّن منها الكلمات، ويتعرَّف خصائصها وما يبنى عليها

من ظواهر؛ تلك الأصول هي الأصوات اللغوية التي يُعبر عنها بـ«حروف الهجاء»..
وعندها فقط يمكنه الانتقال إلى الخطوة الطبيعية التالية؛ وهي دراسة الكلمات؛ فإن ما ينشأ
من تمازج الأصوات له دخلٌ كبير في صنع الكلمات والمفردات وأوزانها وتحديد
مدلولاتها..

❁ ليست الكلمة في اللغة صورةً جامدةً مُجرّدةً من المضمون؛ وإنما هي صوتٌ يلفظ؛ ما
يجعلها تتصل اتصالاً وثيقاً بالموسيقى؛ فهي عبارة عن صوتٍ مُتناسقٍ ينطق به الإنسان؛
ليُعبر به عن أغراضه البيانية؛ ولا سيّما أنّ الألفاظ جاريةٌ من السّمع مجرى الصّور من
البصر..

❁ لا يبيّن الثّقادُ أنطباعهم الجماليّ على الصّورة الصّوتية للكلمة بمعزلٍ عمّا توجيه من دلالة
بديعة؛ بل ينظرون إلى اشتراك اللفظ والمعنى معاً في إحداث صورةٍ دلالية، ومن هنا كان
لظاهرة إيجاء الألفاظ بأكثر من دلالتها الظاهرة حُضورٌ فاعل في النّصّ القرآنيّ وفي القصّة
القرآنية، شكّلت هذه الظاهرة قيمةً فنيّةً تُشركُ المُتلقي في تمثّل الثراء المعنويّ للفظ..

❁ هناك علاقةٌ وطيدة ومُناسبةٌ طبيعيةٌ تصلُّ ما بين اللفظ ومدلوله؛ فالألفاظ لم تنفصل عن
دلالاتها الصّوتية في كثير من الأحيان، وهذا يعني أنّ الألفاظ تكتسب دلالتها من جرس
أصواتها؛ فينشأ ما يُسمّى بـ«المُناسبة الطبيعية» بين الأصوات والدلالات..

❁ إنّ عملية استنباط المعاني الفظرية والدلالات الحسيّة للألفاظ العربية بالرّجوع إلى أسرها
ومقاطعها البنائية، وإيجاءات حروفها وخصائصها الصّوتية ذات أثر بالغ في الإحاطة بما
وُضعت له من معانٍ ومرامٍ، وما دلّت عليه من أبعادٍ وغايات، وأنها والدلالات اللغوية
المعجمية بعضها آخذٌ بعناقٍ بعض، يُكمّله ويكتملُ به..

❁ إنّ بين اللفظ والمعنى علاقةً ما؛ فما يُخرُجُ بالصّوت يدلُّ على ما في النفس؛ وهي التي
تُسمّى: «الأثار»، والتي في النفس تدلُّ على الأمور؛ وهي التي تُسمّى: «المعاني».. فمعنى
دلالة اللفظ: أن يكون إذا أرتمس في الخيال مسموعٌ أسم؛ أرتمس في النفس معنى؛ فتعرف
النفس أنّ هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلمًا أوردته الحسُّ على النفس؛ ألتمتت إلى معناه؛
بمعنى أنّ التّأليف الصّوريّ للفظ يرسم القيمة الدلالية للمعنى الذي يُقابله..

✽ إنَّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لُتُعرف معانيها في أنفسها؛ ولكنْ لأنَّ يُضَمَّ بعضها إلى بعض؛ فيُعرف فيما بينها فوائدُ، هذا من حيثُ النظم.. أما من حيث المفهوم العامِّ للبلغة؛ فإنها تصلحُ أن تكون صفةً للكلمة وهي مفردة، وصفةٌ لها وهي مؤلَّفة أو منظومة في تركيب مفيد.. فبلاغتها وهي مفردة جمالٌ ذاتيٌّ؛ أما بلاغتها وهي منظومة في سلك الجملة أو التركيب؛ فتابعةٌ من حُسن استغلال هذا الجمال الذاتيِّ بحُسن اختيار المكان الملائم والتناسق والتنسيق فيما بينها وبين جاراتها..

✽ إنَّ الأصوات اللغوية بائتلاف أنغام بعضها إلى بعض تُشكِّلُ مُفردات اللغة، وبتأليفها تُمثِّلُ الكلام في تلك اللغة..

✽ ما اللغات والتعابير الكلامية إلا رُمُوزٌ اصطلاحية يستعملها الناس، فإذا وجدناهم قد استعملوها في كلامهم للدلالة على ما يقصدون من معان، وحصل فيما بينهم التفاهمُ بها؛ كانت من عناصر لغاتهم، ولا داعي لإدخال الرأي في الأمور الخاضعة لما يصطَلحُ عليه الناس..

✽ الشُعراءُ هم الذين مَوَسَّقوا الكلمة العربية طوال مراحل نشأتها؛ وذلك من خلال إنشادها في أهازيجهم وقصائدهم؛ فشحنوا أحرفها بشئى الأحاسيس؛ لتتحوَّل بذلك إلى تفعيلةٍ مُوسقةٍ جاهزة للدخول في شئى الأوزان، ومُهيأة للتداول في شئى القوافي؛ للتعبير عن شئى المعاني..

✽ بعد أن أهتدى العربيُّ إلى أصوات حروفه ومعانيها؛ بقي على فطرته البدوية يتقمَّص الأشياء والأحداث؛ لاستشفاف خصائصها الذاتية.. وهكذا أخذ شيئاً فشيئاً ينتقي الحروف التي تتلاءم بإجاءتها الصوتية مع تلك الخصائص؛ ولكنْ على وفق ترتيبٍ مُعيَّن يُماثل تراكيب الأشياء، أو يُوافق حركاتها الإيمائية ويُحاكيها..

✽ إذا كان العربيُّ قد لجأ إلى تقمُّص أشياء العالم الخارجيِّ وظواهره وأحداثه للاهتمام إلى أصوات حروفه ومعانيها بوسيطٍ من مشاعره؛ فلا بدَّ لنا نحن أن نهتدي بالمقابل إلى معاني تلك الحروف من خلال تأملِ صدى أصواتها في مشاعرنا؛ شريطة أن يتمتَّع ذلك العربيُّ بأصالةٍ فنيَّةٍ إبداعية، وأن تتمتَّع نحن بأصالةٍ فنيَّةٍ تدوُّقيةٍ مُوازية.. ومُعجماتُ اللغة العربية هي الفرقانُ والفيصلُ والحكمُ العدلُ في هذه القضية..

❁ أسهمت التلوينات الصوتية بشكل واضح ومُميّز في عملية أنتقاء المفردة القرآنية في السياقات الجزئية والكليّة؛ وذلك من حيث إبراز القيمة الصوتية لهذه المفردة أو تلك في أتتلاف أصواتها، وأداء دلالاتها، وهذا الانتقاء الدقيق يُراعى فيه تعاضد المفردة بشكلٍ دقيق مع نظائرها السابقة واللّاحقة في إطار السياق.. كما تمّ توظيف الكلمات المؤلّفة من أحرفٍ كثيرةٍ ممّا يُستثقل في النصّ البشري بشكلٍ فريد حين عانقت التلوين الصوتي في السياق القرآني؛ فبرزت هذه الكلمات القرآنية الطويلة على أبهى ما يكون من التوظيف والإيحاء والنّظم..

❁ يستعمل القرآن الكريم الألفاظ ذات الجرس الموسيقيّ الناعم الرّخي، والسّلس الموحى في المواضع التي يشيع فيها جوٌّ من الحياة الهانئة السعيدة الجميلة، ويبدو العكس في مواضع كثيرةٍ أخرى؛ إذ قد تتسم الموسيقى بالقوّة والشدّة المناسبة للمعنى الذي أراد تصويره وبيانه!!

❁ إنّ أهمّ ما يُلاحظ على ألفاظ علاقة الرّجل بالمرأة في أسلوب القرآن الكريم: الوُعورة وثقل الألفاظ ذات الدلالة المباشرة على المخالطة والجماع.. في حين أمّازت الألفاظ ذات الدلالة الكنائية باللين والسهولة!!

❁ يُعدّ أصلُ الوضع اللغويّ وتركيبية البناء الذاتيّ لجملة الألفاظ التي أنتقاها القرآن الكريم لتكون النسيج التعبيري لآياته الكريمة هما اللذان يمنحانها كلّ هذا الرنين الموسيقيّ والبعد الصوتي؛ أي إنّ ألفاظاً كهذه تعتمد قوة الجرس الذاتية في بنائها اللفظيّ أداةً للتعبير والإيحاء، وما أستعمال القرآن الخاصّ لها دون سواها في سياقاته المعجزة إلاّ لما أمتازت به عن غيرها من موسيقى ذات إيقاعٍ مُتميّز..

❁ إنّ ترجمة معاني القرآن، أو ما تُسمّى بالترجمة التفسيرية تفقد أول ما تفقد الجانب الصوتيّ الجميل الذي يمتاز به النصّ القرآنيّ الحكيم، وتُفوّت عنصراً رئيساً من عناصر إعجاز هذا الكتاب الكريم، وتُحيله إلى كلام يقع ضمن مقدور الطاقة البشرية ويتداخل مع أسلوب البشر..

❁ من عجيب أمر هذا الجمال اللغويّ، وذاك النظام الصوتيّ في القرآن المجيد أنهما كما كانا دليلَ إعجازٍ من ناحية؛ كانا سُوراً منيعاً لحفظه من ناحيةٍ أخرى؛ وبذلك يبقى أبد الدهر

سائداً على ألسنة الخلق وفي آذانهم، ويعرف بذاته ومزاياه بينهم؛ فلا يجروا أحدٌ على تغييره وتبديله..

❁ إنَّ كلَّ عنصرٍ من عناصر البيان - ولا سيَّما البيان القرآنيَّ المعجز - لذو أثرٌ مجيدٌ في بناء المعنى وتصويره وتحبيره، قد تخفى علينا نحن بعضُ ملامح ذلك الأثر؛ ولكنَّ هذا الخفاء لا يصحُّ أن يكون مدعاةً أو أن يُتخذ ذريعةً إلى نفي وجوده..

❁ إنَّ هنالك تفاوتاً وفروقاً ملموسة في القدرة التعبيرية بين الأصوات المختلفة في اللغة، وهذا هو السرُّ الكامن في التفاوت واختلاف نسب التأثير في الكلمات المعبرة بأصواتها عن معانيها ومدلولاتها!!

❁ إنَّ لأصوات الكلمات قوَّةً خارقةً في التعبير عن مدلولاتها، وإنَّ الجرس الموسيقيَّ لأية لفظة يلعب دوراً خاصاً يثيرُ انتباه المشاعر الداخلية وتحفيزها للتلقّي، والتَّعمُّ من أخصِّ خصائص اللفظة بوصفها صوتاً يرمز إلى المعنى..

❁ إنَّ العلاقة بين النظامين الصَّوتيِّ والصَّرفيِّ في أية لغةٍ علاقةٌ متينة؛ لأنَّ أغلب الموضوعات الصَّرفية قائمة على قوانين صوتية بحثة؛ فلا يُمكنُ دراسة بنية الكلمة وما فيها من تحولاتٍ وتبدُّلاتٍ من دون دراسة أصواتها ومقاطعها وحركاتها..

❁ من أهمِّ الجوانب العامَّة التي تمتاز بها بياناتُ القرآن الكريم: الكمالُ في اختيار كلِّ لفظٍ بحيث يُؤدِّي المعنى على أدقِّ وجهٍ وأوفاه بما لا يُؤدِّيهِ لفظ آخر.. وكذا الاختيار الدقيق للألفاظ المترادفة بحيث تُميِّز بين أدقِّ الفروق في المعنى، وبحيث إذا استُبدِلَ اللفظُ بمُرادِفِهِ؛ فقد النَّصُّ عمقَ معناه، ودقَّةَ تصويره، وجمالَ جرسه..

❁ ومن الجوانب العامَّة الأخرى التي تمتاز بها بياناتُ القرآن الكريم: الاتِّساق اللفظيُّ الصَّوتيُّ الذي تدركه الأذن؛ وإن لم تفهم المعنى أو تعرف العربية، وترتَّب على ذلك سهولة نطقه باللسان، وتيسير حفظه عن ظهر قلب..

❁ من يتصفَّح آيات القرآن الكريم؛ يلحظ من أوَّل وهلة تعدُّد القيم والتلوينات الصَّوتية وتنوعها في سياقاته المختلفة والمتنوعة؛ نظراً لتمامها مع مستويات اللغة كافة، وتعاملها مع تفصيلات هذه المستويات..

❁ أصل المعاني في اللفظة العربية هو المعنى الحسيُّ المأخوذ من بيئة العربي وما اكتشفته من مظاهر الطبيعة المختلفة، وفي أثناء هذا البحث طائفة وافية من الألفاظ التي تُدلل لتلك الحقيقة..

❁ يُعدُّ كلُّ من التَّبر والتَّغيم ملامح صوتية مُرافقة للكلام، ففي حين يُعدُّ التَّغيم حُكماً في دلالات التراكيب والجمل؛ يقتصر عملُ التَّبر على الكلمة وحدها، دالاً على حُدودها..

توصية

لما للأصوات اللغوية من أهميَّة لا تتوارى في فهم دلالات الألفاظ اللغوية التي تقود إلى فهم التراكيب والبنى النَّصيَّة برُمَّتها؛ إذ من خلالها تجري تلك الألفاظ من السمع مجرى الصُّور من البصر، ولِمَا تقرَّر في علم اللغة من عدم إمكانية التعامل بالحروف المكتوبة مُجرَّدة من دون تبيين وقائعها الصوتية؛ فإني أُوصي وبإلحاح بعمل مُعجم قرآنيِّ صوتيِّ مُتكاملٍ من الألف إلى الياء، تُستوحى من خلاله دلالات ألفاظ القرآن المجيد ومعاني آياته الكريمة وهداياته بالاعتماد على ما تناثر في بطون الأسفار والمصادر قديمها وحديثها، وما كتب من الدلالات والإيحاءات والخصائص الصوتية لحروف اللُّغة العربية؛ على أن يُتخذ ما كتب عمالقة اللغة القدماء والمحدثون، وفي مُقدِّمتهم: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأبو الفتح عثمان بن جنيِّ الموصلية، وأبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا القزويني، وكلُّ من جاء من بعدهم، وسار على إثرهم ونهج نهجهم، وكتب عن آثارهم الطيِّبة ومناهجهم المثمرة وجهودهم المباركة والمشكورة في حقل الدراسات الصوتية؛ من أمثال الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، والأستاذ عبد الله العلايلي في «تهذيب المقدمة اللغوية»، والأستاذ زكي الأرسوزي في مؤلَّفاته الكاملة، والأستاذ الدكتور حسام سعيد النعيمي في كتاباته ومُحاضراته وتحليلاته وخواطره وتأمُّلاته الرائعة.. ولا ننسى ما كتبه الباحث العربيُّ السُّوري الثابر والكفوء الدكتور حسن عباس الباحث في علم اللغة واللِّسانيات وما خلفه لنا وللمكتبة العربية والقرآنية مشكوراً من جهدٍ طيبٍ وآثارٍ مُباركة في معاني الحروف العربية على واقع مُعجمات اللغة، وفي خصائص تلك الحروف ومعانيها، وكذلك في أصواتها وإيحاءاتها الحسيَّة والشُّعورية، وفي العلاقات الفطرية المُنعقدة بينها وبين سائر الحواسِّ والمشاعر الإنسانيَّة... وغيرهم من العلماء الأعلام والباحثين الأفاضل الكثير.. يُتخذ ذلك كلُّه أساساً متيناً وزاداً طيباً تقوم عليه أركان ذلك المُعجم المأمول

والمُرْتَقَب بإذن الله ﷻ؛ ما دام بالإمكان إيجاد منهجٍ تفسيريٍّ شاملٍ للقرآن الكريم يقوم على تحليل وظائف الأصوات، وتحديد دلالة البناء العام للنصّ القرآني في ضوء التحليل التَّعْمِي..

خلاصة

تعرّض البحث لدراسة أهمّ الجوانب الصّوتية وما فيها من مظاهر مُتعدّدة أكتفتُ شئى التلوينات والتطريزات والأنغام والثّبرات الأدائية المُسهمة بشكلٍ أو بآخر في رسم الأوجه الدلالية وبيان الآثار المعنوية وتحديد الصُّور الجمالية لنصوص اللغة - شعرها ونثرها - وآيات القرآن المجيد.. مُعرّجاً على مدى الإسهام الفاعل والجهد الطيّب المبذول من لدن كلِّ من علماء اللغة والتفسير والتجويد القدماء والمُحدّثين في الإمساك بطرفٍ وثيقٍ من حبال هذا العلم الجليل، وما نتج عن ذلك كلّهُ من ثمار طيبة.. فجاء على خمسة مباحث، تناول الأوّل منها جانباً تحليلياً للبعد الصّوتيّ لبعض الألفاظ العربية والقرآنية وما أحدثه من آثارٍ معنوية.. في حين جاء المبحث الثاني بعنوان: «تحليل الينى الصرفية لطائفةٍ من الألفاظ العربية والقرآنية وتفكيكها وأثر ذلك في تجميع التركيبة الصّوتية وأستيحاء دلالتها».. وعقدتُ المبحث الثالث لأستعرض فيه بعض التلوينات الصّوتية وموسيقى الألفاظ المفردة ورجع أصدائها على رسم الأحداث وتصوير المشاهد.. في حين ضربتُ في المبحث الرابع نماذجٍ مُختارةً لطائفةٍ من الأحرف المُجرّدة والمقاطع الصّوتية وما تبعته في النفس من إحياءٍ عميق، وعرّجتُ في المبحث الخامس والأخير على بعض المظاهر الصّوتية وأثرها في البيان اللغويّ والقرآنيّ، وجاءتْ عَقَبَ ذلك خاتمةُ البحث لتكتنفَ أهمّ النتائج التي توصلتُ إليها، يتلوها ثبتُ بأهمّ المصادر والمراجع التي أفدتُ منها في إثراء المادّة العلمية للبحث..

هوامش البحث ومصادره

- (١) الخصائص (١/٣٣).
- (٢) ينظر: البحث الدلالي في تبيان الطوسي / ص ٣١.
- (٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، لطنطاوي جوهري (تفسير الآية الأولى من سورة آل عمران)، نقلاً عن: التفسير والمفسرون (٥/٩).
- (٤) ينظر: النشر في القراءات العشر (١/٢٢٥)، واللغة العربية ومكانتها بين اللغات / ص ٤-٥، وخصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ١٢٧-١٣٣، وأصوات الحروف العربية وإيجاءاتها الحسية والشعورية / ص ٤٦.
- (٥) اللغة العربية ومكانتها بين اللغات / ص ٤-٥، وينظر: النشر في القراءات العشر (١/٢٢٦)، وعلم اللغة - الأصوات / ص ١٦٠-١٦٦، وخصائص الحروف العربية ومعانيها / ص ١٠٣-١١٠، واللغة العربية ومكانتها بين اللغات / ص ٤-٥، وأصوات الحروف العربية وإيجاءاتها الحسية والشعورية / ص ٤٦.
- (٦) ينظر: النشر في القراءات العشر (١/٢٢٧)، وخصائص الحروف العربية ومعانيها / ص ١٣٣-١٤٠، و١٤٨، ومعاني الحروف العربية على واقع المعاجم اللغوية / ص ٩، وأصوات الحروف العربية وإيجاءاتها الحسية والشعورية / ص ٣٩، و٤٦، والحرف العربي بين الأصالة والحدائثة / ص ١١٢-١١٩، ومقدمة لدرس لغة العرب / ص ١٦٤.
- (٧) ينظر: النشر في القراءات العشر (١/٢٢٥)، وخصائص الحروف العربية ومعانيها / ص ١٧٥، و١٨٨-٢٠٠، وأصوات الحروف العربية وإيجاءاتها الحسية والشعورية / ص ٤٦، والحرف العربي بين الأصالة والحدائثة / ص ١١٢-١١٩، ومقدمة لدرس لغة العرب / ص ١٦٤.
- (٨) الإحكام في أصول الأحكام (١/٣٢)، وينظر: علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي / ص ٢٩٣.
- (٩) البضاضة: نعومة البدن وطراوته، ورقة الجلد وصفاء لونه؛ وهو الذي يؤثر فيه أدنى شيء.. يقال: فلانٌ أبيضُ الناس؛ أي: أرقهم لوناً وأحسنهم بشرة [ينظر: تاج العروس (١٨/٢٣٩)].
- (١٠) ينظر: الصِّحاح (١/٢٨٣)، ومقاييس اللغة (٢/٤٢١)، ولسان العرب (٢/١٥٣)، وتاج العروس (٥/٢٦٣).
- (١١) معاني الحروف العربية على واقع المعاجم اللغوية / ص ٥٣-٦٠.
- (١٢) علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي / ص ٢٠٥.
- (١٣) البنى والدلالات في لغة القصص القرآني / ص ٢٧٩.

(١٤) ينظر: الصَّحَاح (١٣١٨/٤)، ومقاييس اللغة (٣٠٢/٢)، ولسان العرب (٤٢٤/٨)، وتاج العروس (٤٦٦/٢٢).

(١٥) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ١٣٣.

(١٦) الصَّحْل: حدة في الصوت مع بحة لا تبلغ أن تكون جشةً وتكسراً في الحلق، وسببها خشونة في الصدر [ينظر: العين (١١٧/٣)، ولسان العرب (٣٧٧/١١)].

(١٧) الخصائص (١٦٢/٢ - ١٦٣).

(١٨) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو/ ص ١٩٨، و ٢١٠.

(١٩) ينظر: علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص ٢٤٥، و ٢٤٩.

(٢٠) ينظر: الأسلوبية الصوتية في النظرية والتطبيق/ ص ٦٨.

(٢١) ينظر: دلالة الألفاظ/ ص ٦٢، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص ١٨١، و ١٨٥.

(٢٢) خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢.

(٢٣) الخصائص (١٦٢/٢).

(٢٤) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ١٣، و ١٧٢، و ٢٣٥.

(٢٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ص ٢١٤ - ٢١٥، و ٢١٨.

(٢٦) الحرف العربي والشخصية العربية/ ص ٩٨، وينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ١٤.

(٢٧) أصوات الحروف العربية وإيجاءاتها الحسية والشعورية/ ص ٣٣.

(٢٨) ينظر: الخصائص (١٤٥/٢) وما بعدها.

(٢٩) المصدر نفسه (١٦٢/٢)، وينظر: أصوات الحروف العربية وإيجاءاتها الحسية والشعورية/ ص ٣٥.

(٣٠) ينظر: أصوات الحروف العربية وإيجاءاتها الحسية والشعورية/ ص ٤٢ - ٤٣.

(٣١) ينظر: المرجع نفسه/ ص ٣٣.

(٣٢) في فلسفة اللغة/ ص ١٧٢، وينظر: علم اللغة العربية، لحجازي/ ص ١٠، والبحث الدلالي في إرشاد

العقل السليم/ ص ٢٥.

(٣٣) العين (٥٦/١)، وينظر: (٨١/٧)، وعلم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص ٦٥،

ونظريات في اللغة/ ص ١٧ - ١٨.

(٣٤) ينظر: المصدر نفسه (٥٣/١ - ٥٤).

(٣٥) التَّوَان: وهو الوَبَان والارتفاع، ولا يقال إلا للشاء والدَّوَابِّ والبقر.. والتَّقْزَان: الوَبَان أيضاً، وقد

غلب على الطائر المعتاد الوَثْب؛ كالغراب والعصفور [ينظر: مقاييس اللغة (٤١٨/٥)، و (٤٦٩)، ولسان

العرب (٤١٩/٥)، و (٣١٩/١٥)].

(٣٦) الكتاب (١٤/٤).

- (٣٧) ينظر: (١٥٢/٢ - ١٦٨)، ومثله: «باب في قوة اللفظ لقوة المعنى»، (٣/٢٦٤ - ٢٦٩).
- (٣٨) الخصائص «باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية»، (٣/١٠٠).
- (٣٩) بمعنى: مُطَرِّدٌ مستقيم.
- (٤٠) ينظر: الصَّحَّاح (١٩١٣/٥)، ومقاييس اللغة (١٩٣/٢)، ولسان العرب (١٨٢/١٢)، وتاج العروس (١٠٥/٣٢).
- (٤١) ينظر: الصَّحَّاح (٢٠١٣/٥)، ومقاييس اللغة (٩٩/٥)، ولسان العرب (٤٨٧/١٢)، وتاج العروس (٢٨٣/٣٣).
- (٤٢) ينظر: الصَّحَّاح (٤١١/١)، ومقاييس اللغة (٤٣٨/٥)، ولسان العرب (٦١٨/٢)، وتاج العروس (١٨٠/٧).
- (٤٣) ينظر: الصَّحَّاح (٤٣٣/١)، ومقاييس اللغة (٤٣٨/٥)، ولسان العرب (٦١/٣)، وتاج العروس (٣٥٧/٧).
- (٤٤) الخصائص (١٥٧/٢ - ١٥٨)، وينظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٥٥/٢)، وإرشاد العقل السليم (٣٩/٦)، والصوت والدلالة/ ص ١٤٣، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ الصفحات: ١٠٥ - ١٠٦، و١٥٤ - ١٥٥، و١٩٨.
- (٤٥) ينظر: مقاييس اللغة (المقدمة) (٤/١)، وعلم اللغة العربية، لحجازي/ ص ١٠٤ - ١٠٥، المعجم العربي - نشأته وتطوره (٢/٣٤٠، و٣٤٩).
- (٤٦) ينظر: الصَّحَّاح (٢٠٠٢/٥)، ومقاييس اللغة (٥٠٦/٤)، ولسان العرب (٤٥٣/١٢)، وتاج العروس (٢٠٨/٣٣).
- (٤٧) ينظر: الصَّحَّاح (٢٠١٣/٥)، ومقاييس اللغة (٩٣/٥)، ولسان العرب (٤٨٥/١٢)، وتاج العروس (٢٨٠/٣٣).
- (٤٨) ينظر: الصَّحَّاح (١٨٨١/٥)، ومقاييس اللغة (٣٨٤/١)، ولسان العرب (٧٨/١٢)، وتاج العروس (٣٥٧/٣١).
- (٤٩) ينظر: الصَّحَّاح (٩٤/١)، ومقاييس اللغة (٣٨٤/١)، ولسان العرب (٢٤١/١)، وتاج العروس (١٠٠/٢).
- (٥٠) ينظر: الصَّحَّاح (٦٧٠/٢)، ومقاييس اللغة (١٤/٣)، ولسان العرب (٣٢٤/٤)، وتاج العروس (٤٣١/١١).
- (٥١) ينظر: الصَّحَّاح (٦٦٦/٢)، ومقاييس اللغة (٤٢/٣)، ولسان العرب (٣١٤/٤)، وتاج العروس (٣٩٥/١١).

(٥٢) ينظر: سرُّ الفصاحة/ ص ٢١، ومباحث في علم اللغة واللسانيات/ ص ١٤٦، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص ٤٧.

(٥٣) ينظر: الجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص ٢١١، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص ١٤٦-١٤٧.

(٥٤) قال ﷺ: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]، ﴿الزَّانِ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۗ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]، ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾ [سُورَةُ الْأَنْجُرَادِيِّينَ].

(٥٥) قال ﷺ: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ ۗ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ].

(٥٦) قال ﷺ: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الظَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْشُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ۗ﴾ [سُورَةُ الْحَجَرِ].

(٥٧) قال ﷺ: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً أَجْلَهُنَّ... ۗ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ] وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيَصِفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۗ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ].

(٥٨) قال ﷺ: ﴿فَالْتَنَ بَشِيرُوهُنَّ وَأَتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ].

(٥٩) قال ﷺ: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ۗ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ].

(٦٠) قال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۗ﴾ [سُورَةُ الْأَنْجُرَادِيِّينَ]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ﴾ [سُورَةُ الرُّؤُوفِ].

(٦١) قال ﷺ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً

فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۗ﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ].

(٦٢) قال ﷺ: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۗ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

(٦٣) قال ﷺ: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعَزُّوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۗ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ].

(٦٤) قال ﷺ: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ۗ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ].

(٦٥) ينظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم/ ص ١١٩، و ١٠٧-١١٨.

(٦٦) ينظر: الشفاء «العبارة»، ص ٤، وعلم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص ١٩٦-١٩٩.

- (٦٧) ينظر: الخصائص «باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني» (٢/١٥٢ - ١٦٨)، وعلم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي / ص ٦٥، و١٧٧.
- (٦٨) ينظر: اللغة، لفندريس / ص ٢٣٦، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم / ص ٥٣ - ٥٤، والإيحاء الصوتي في تعبير القرآن / ص ٣٢٦ - ٣٣٣.
- (٦٩) المنهج الصوتي للبنية العربية / ص ٤٤ - ٤٥، وينظر: البحث الدلالي في إرشاد العقل السليم / ص ٣٨.
- (٧٠) مبادئ اللسانيات / ص ١٢٣.
- (٧١) ينظر: البيان والتبيين (١/٦٩)، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية / ص ١٠٤، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم / ص ٩٥، والتعبير القرآني والدلالة النفسية / ص ٢٢٣.
- (٧٢) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية / ص ١٢٠، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية / ص ١٠٥.
- (٧٣) ينظر: الصَّحاح (٢/٧٧٨)، ومقاييس اللغة (٤/٤٧٥)، ولسان العرب (٥/٤٥)، وتاج العروس (١٣/٢٩٨).
- (٧٤) ينظر: الصَّحاح (١/٣٧٩)، ومقاييس اللغة (٣/٣٢٨)، ولسان العرب (٢/٥٠٢)، وتاج العروس (٦/٥١٦).
- (٧٥) ينظر: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم / ص ٤٦٦.
- (٧٦) ينظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم / ص ١٢١.
- (٧٧) ينظر: ص ٢٦١.
- (٧٨) ينظر: التصوير الفني / ص ٧٨ - ٨٦، والنقد اللغوي عند العرب / ص ١١٠، وبلاغة الكلمة والجملة / ص ٢٧، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية / الصفحات: ٥٢، و٨٢، و٢١٤.
- (٧٩) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، لطنطاوي جوهرى (تفسير الآية الأولى من سورة آل عمران)، نقلاً عن: التفسير والمفسرون (٥/٩).
- (٨٠) ينظر: اللغة العربية - معناها ومبناها / ص ١٨٥.
- (٨١) التصريف الملوكي / ص ٦.
- (٨٢) الاشتقاق الكبير: هو أن يكون بين اللفظين تناسبٌ في اللفظ والمعنى دون الترتيب؛ نحو: «جبد»، من: الجذب [ينظر: التعريفات / ص ٢٧، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف / ص ٥٢، والكليَّات / ص ١١٨].
- (٨٣) ينظر: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية / ص ٥٨، وخصائص الحروف العربية ومعانيها / ص ٢٥٢.
- (٨٤) ينظر: التعريفات / ص ١٦٨، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف / ص ١٠٤، والكليَّات / ص ٦٩٧.
- (٨٥) ينظر: الصَّحاح (٢/٧٨٣)، ومقاييس اللغة (٤/٤٤٦)، ولسان العرب (٥/٦٥)، وتاج العروس (١٣/٣٤٥).

- (٨٦) ينظر: الصَّحَاح (٧٨٠/٢)، ومقاييس اللغة (٤٣٨/٤)، ولسان العرب (٥٠/٥)، وتاج العروس (٣١١/١٣).
- (٨٧) ينظر: الصَّحَاح (٨٠٤/٢)، ومقاييس اللغة (١٢٦/٥)، ولسان العرب (١٣٥/٥)، وتاج العروس (٢٧/١٤).
- (٨٨) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٧٦-٢٧٧.
- (٨٩) ينظر: التعريفات/ ص ١٤٧، والحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة/ ص ٧٣، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص ٢٣٧، والكُلِّيَّات/ ص ٦٣٩.
- (٩٠) ينظر: الصَّحَاح (١٧٦٠/٥)، ومقاييس اللغة (٢٤٦/٤)، ولسان العرب (٤٣٠/١١)، وتاج العروس (٤٤٣/٢٩).
- (٩١) ينظر: الصَّحَاح (٥٠٥/٢)، ومقاييس اللغة (٢٩/٤)، ولسان العرب (٢٨١/٣)، وتاج العروس (٣٥٣/٨).
- (٩٢) ينظر: الصَّحَاح (١٧٧٣/٥)، ومقاييس اللغة (١٢/٤)، ولسان العرب (٤٦٧/١١)، وتاج العروس (٤٤/٣٠).
- (٩٣) ينظر: الصَّحَاح (١٦٩٨/٤)، ومقاييس اللغة (٢٥٩/٢)، ولسان العرب (٢٤٧/١١)، وتاج العروس (٤٩٦/٢٨).
- (٩٤) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٧٧-٢٧٨.
- (٩٥) ينظر: التعريفات/ ص ٨٩، والحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة/ ص ٧٥، والكُلِّيَّات/ ص ٣٩٠.
- (٩٦) ينظر: الصَّحَاح (١٤٦٠/٤)، ومقاييس اللغة (١٥/٢)، ولسان العرب (٤٩/١٠)، وتاج العروس (١٦٦/٢٥).
- (٩٧) الخصائص (١٦٢/٢).
- (٩٨) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٧٨-٢٧٩.
- (٩٩) ينظر: الصَّحَاح (١٩٢٩/٥)، ومقاييس اللغة (٤٩٨/٢)، ولسان العرب (٢٣٠/١٢)، وتاج العروس (٢٢٥/٣٢).
- (١٠٠) ينظر: الصَّحَاح (١٩٣٦/٥)، ومقاييس اللغة (٣٧٨/٢)، ولسان العرب (٢٥١/١٢)، وتاج العروس (٢٨١/٣٢).
- (١٠١) ينظر: الصَّحَاح (١٩٠٤/٥)، ومقاييس اللغة (٢٣/٢)، ولسان العرب (١٥٠/١٢)، وتاج العروس (٥/٣٢).
- (١٠٢) الجَفْنَةُ: القَصْعة العظيمة تشبع أكثر من عشرة [ينظر: لسان العرب (٨٩/١٣)، وتاج العروس (٣٥٨/٣٤)].

(١٠٣) ينظر: الصَّحَّاح (١/٣٦٤)، ومقاييس اللغة (٢/٣٨٥)، ولسان العرب (٢/٤٤٦)، وتاج العروس (٦/٣٨٦).

(١٠٤) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٧٩ - ٢٨١.

(١٠٥) ينظر: الصَّحَّاح (١/١٠٥)، ومقاييس اللغة (٢/٢٦)، ولسان العرب (١/٢٨٩)، وتاج العروس (٢/٢١٢).

(١٠٦) الخصائص (٢/١٦٢).

(١٠٧) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(١٠٨) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٩١ - ٢٩٢.

(١٠٩) ينظر: التوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص ٢٥١، والكُلِّيَّات/ ص ٣٩٩.

(١١٠) ينظر: الصَّحَّاح (٥/١٩٩٦)، ومقاييس اللغة (٤/٤١٩)، ولسان العرب (١٢/٤٣٦)، وتاج العروس (٣٣/١٦٩).

(١١١) ينظر: الصَّحَّاح (٢/٧٦٧)، ومقاييس اللغة (٤/٣٨٠)، ولسان العرب (٥/١١)، وتاج العروس (١٣/٢١٤).

(١١٢) ينظر: الصَّحَّاح (٥/١٩٩٧)، ومقاييس اللغة (٤/٣٧٧)، ولسان العرب (١٢/٤٤١)، وتاج العروس (٣٣/١٧٩).

(١١٣) ينظر: الصَّحَّاح (٥/١٩٣٦)، ومقاييس اللغة (٢/٣٧٨)، ولسان العرب (١٢/٢٥١)، وتاج العروس (٣٢/٢٨١).

(١١٤) ينظر: الصَّحَّاح (٥/١٩٩٦)، ومقاييس اللغة (٤/٤١٩)، ولسان العرب (١٢/٤٣٦)، وتاج العروس (٣٣/١٦٩).

(١١٥) ينظر: التعريفات/ ص ١٣٢، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة/ ص ٧٤، وأنیس الفقهاء/ ص ٧٨، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص ١٤٣، و٢١٣، والكُلِّيَّات/ ص ٤١٥، و٥٤٣، و٥٥٦.

(١١٦) ينظر: الصَّحَّاح (٤/١٥٠٥)، ومقاييس اللغة (٣/٣٣٩)، ولسان العرب (١٠/١٩٣)، وتاج العروس (٢٦/٥).

(١١٧) ينظر: الصَّحَّاح (٢/٤٩٥)، ومقاييس اللغة (٣/٢٨٢)، ولسان العرب (٣/٢٤٥)، وتاج العروس (٨/٢٦٦).

(١١٨) ينظر: الصَّحَّاح (٤/١٤٧٥)، ومقاييس اللغة (٢/٢٥٨)، ولسان العرب (١٠/١٠٠)، وتاج العروس (٢٥/٢٩٥).

(١١٩) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٦٣.

(١٢٠) ينظر: التعريفات/ ص ١٨٤، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص ٢٨١، والكُلِّيَّات/ ص ٢٦٣.

- (١٢١) ينظر: الصَّحَّاح (٢٠٢٠/٥)، ومقاييس اللغة (١٧٢/٥)، ولسان العرب (٥١٠/١٢)، وتاج العروس (٣٣٥/٣٣).
- (١٢٢) ينظر: الصَّحَّاح (٨٠٤/٢)، ومقاييس اللغة (١٢٦/٥)، ولسان العرب (١٣٥/٥)، وتاج العروس (٢٧/١٤).
- (١٢٣) ينظر: الصَّحَّاح (٢٠٢٤/٥)، ومقاييس اللغة (١٢٢/٥)، ولسان العرب (٥٢٦/١٢)، وتاج العروس (٣٧٦/٣٣).
- (١٢٤) ينظر: الصَّحَّاح (١٩٣٦/٥)، ومقاييس اللغة (٣٧٨/٢)، ولسان العرب (٢٥١/١٢)، وتاج العروس (٢٨١/٣٢).
- (١٢٥) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٦٥-٢٦٦.
- (١٢٦) ينظر: التعريفات/ ص ٨٧، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص ١٤٠، والكُلِّيَّات/ ص ٤٠٢.
- (١٢٧) ينظر: الصَّحَّاح (٢٠٩٩/٥)، ومقاييس اللغة (٥٧/٢)، ولسان العرب (١١٣/١٣)، وتاج العروس (٤١٨/٣٤).
- (١٢٨) ينظر: الصَّحَّاح (٩١٧/٣)، ومقاييس اللغة (٩/٢)، ولسان العرب (٤٩/٦)، وتاج العروس (٥٣٥/١٥).
- (١٢٩) ينظر: الصَّحَّاح (٢١٠٤/٥)، ومقاييس اللغة (٢٤/٢)، ولسان العرب (١٢٨/١٣)، وتاج العروس (٤٥٥/٣٤).
- (١٣٠) ينظر: الصَّحَّاح (٢١٣٨/٥)، ومقاييس اللغة (٦٠/٣)، ولسان العرب (٢٢٠/١٣)، وتاج العروس (٢٢٣/٣٥).
- (١٣١) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٨٦-٢٨٧.
- (١٣٢) ينظر: التعريفات/ ص ١٦٦، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص ٢٥٨، والكُلِّيَّات/ ص ١٢٢، و٥٠٨.
- (١٣٣) ينظر: الصَّحَّاح (٣٩٠/١)، ومقاييس اللغة (٤٩٩/٤)، ولسان العرب (٥٤١/٢)، وتاج العروس (١٢/٧).
- (١٣٤) ينظر: الصَّحَّاح (٧٨٠/٢)، ومقاييس اللغة (٤٣٨/٤)، ولسان العرب (٥٠/٥)، وتاج العروس (٣١١/١٣).
- (١٣٥) ينظر: الصَّحَّاح (٣٨٩/١)، ومقاييس اللغة (٤٣٧/٤)، ولسان العرب (٥٤٠/٢).
- (١٣٦) ينظر: الصَّحَّاح (٣٦٤/١)، ومقاييس اللغة (٣٨٥/٢)، ولسان العرب (٤٤٦/٢)، وتاج العروس (٣٨٦/٦).
- (١٣٧) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٨٤-٢٨٥.

- (١٣٨) ينظر: الصَّحاح (٢٨١/١)، ومقاييس اللغة (٢٣٨/٢)، ولسان العرب (١٤١/٢)، وتاج العروس (٢٣١/٥).
- (١٣٩) ينظر: الصَّحاح (١١٧/١)، ومقاييس اللغة (١٥٧/٢)، ولسان العرب (٣٤١/١)، وتاج العروس (٣٢٧/٢).
- (١٤٠) ينظر: مقاييس اللغة (١٥٨/٢)، ولسان العرب (١٤٥/٢)، وتاج العروس (٢٣٩/٥).
- (١٤١) ينظر: الصَّحاح (٢٧٣/١)، ومقاييس اللغة (١٧٢/١)، ولسان العرب (١١٤/٢)، وتاج العروس (١٦٠/٥).
- (١٤٢) الخصائص (١٦٢/٢)، وينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٥٤.
- (١٤٣) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٦٨ - ٢٦٩.
- (١٤٤) ينظر: الصَّحاح (١٢٠١/٣)، ومقاييس اللغة (١٦١/٢)، ولسان العرب (٦٣/٨)، وتاج العروس (٤٨٢/٢٠).
- (١٤٥) ينظر: الصَّحاح (٤٦٨/٢)، ومقاييس اللغة (١٤٩/٢)، ولسان العرب (١٦٠/٣)، وتاج العروس (٥٢/٨).
- (١٤٦) ينظر: لسان العرب (٧٥/٨)، وتاج العروس (٥١٧/٢٠).
- (١٤٧) ينظر: الصَّحاح (١٢٠٧/٣)، ومقاييس اللغة (٢٥٧/٢)، ولسان العرب (٨٥/٨)، وتاج العروس (٥٤٨/٢٠).
- (١٤٨) ينظر: الصَّحاح (١٢٠٢/٣)، ومقاييس اللغة (١٦١/٢)، ولسان العرب (٦٣/٨)، وتاج العروس (٤٨٢/٢٠).
- (١٤٩) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٦٩ - ٢٧٠.
- (١٥٠) ينظر: التعريفات/ ص ٨٧، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص ١٣٩، والكُلِّيَّات/ ص ٦٧٢.
- (١٥١) ينظر: الصَّحاح (٩١٦/٣)، ومقاييس اللغة (٩/٢)، ولسان العرب (٤٩/٦)، وتاج العروس (٥٣٥/١٥).
- (١٥٢) ينظر: مقاييس اللغة (٣/٢)، ولسان العرب (١٤٠/٣)، وتاج العروس (٦/٨).
- (١٥٣) ينظر: الصَّحاح (٤٨٥/٢)، ومقاييس اللغة (٦٦/٣)، ولسان العرب (٢٠٧/٣)، وتاج العروس (١٧٧/٨).
- (١٥٤) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٧٠ - ٢٧١.
- (١٥٥) ينظر: التعريفات/ ص ١١٨، وأنبس الفقهاء/ ص ٦٣، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص ١٩٣، والكُلِّيَّات/ ص ٥١٤.

- (١٥٦) ينظر: الصَّحَّاح (٤/١٤٩٦)، ومقاييس اللغة (٣/١٥٤)، ولسان العرب (١٠/١٥٥)، وتاج العروس (٢٥/٤٤٢).
- (١٥٧) ينظر: الصَّحَّاح (٢/٦٨١)، ومقاييس اللغة (٣/٦٧)، ولسان العرب (٤/٣٥٦)، وتاج العروس (١٢/٥).
- (١٥٨) ينظر: الصَّحَّاح (٤/١٤٨٣)، ومقاييس اللغة (٢/٣٧٦)، ولسان العرب (١٠/١٢١)، وتاج العروس (٢٥/٣٥٣).
- (١٥٩) الخصائص (٢/١٦٢).
- (١٦٠) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٧١-٢٧٢.
- (١٦١) ينظر: الصَّحَّاح (٤/١٦٣٢)، ومقاييس اللغة (١/٢٠٧)، ولسان العرب (١١/٤٧)، وتاج العروس (٢٨/٦٢).
- (١٦٢) ينظر: الصَّحَّاح (٤/١٦٣٨)، ومقاييس اللغة (١/١٨٧)، ولسان العرب (١١/٦٣)، وتاج العروس (٢٨/١٠٥).
- (١٦٣) ينظر: الصَّحَّاح (٤/١٦٨٦)، ومقاييس اللغة (٢/١٥٥)، ولسان العرب (١١/٢١١)، وتاج العروس (٢٨/٤١٩).
- (١٦٤) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٧٢-٢٧٣.
- (١٦٥) ينظر: الصَّحَّاح (٣/١٠١٤)، ومقاييس اللغة (٤/٤٧٨)، ولسان العرب (٦/٣٢٥)، وتاج العروس (١٧/٢٩٦).
- (١٦٦) ينظر: الصَّحَّاح (١/٣٨٩)، ومقاييس اللغة (٤/٤٣٧)، ولسان العرب (٢/٥٤٠).
- (١٦٧) ينظر: الصَّحَّاح (٣/١٠١٥)، ومقاييس اللغة (٤/٤٤٠)، ولسان العرب (٦/٣٣١)، وتاج العروس (١٦/٣١٣).
- (١٦٨) ينظر: الصَّحَّاح (٣/١٠٠١)، ومقاييس اللغة (٢/١٠)، ولسان العرب (٦/٢٨٣)، وتاج العروس (١٧/١٤٣).
- (١٦٩) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٦٨-٢٦٩.
- (١٧٠) ينظر: مناهج البحث في اللغة/ ص ٢٩٢، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص ٢٦.
- (١٧١) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/ ص ١٥٩، والمنهج الصوتي للبنية العربية/ ص ٢٥، والبحث الدلالي في تبيان الطوسي/ ص ٣٠.
- (١٧٢) المنهج الصوتي للبنية العربية/ ص ٩، وينظر: التوجيه الصوتي في دراسة النحو العربي/ ص ١٣-١٤.
- (١٧٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، لطنطاوي جوهري (تفسير الآية الأولى من سورة آل عمران)، نقلًا عن: التفسير والمفسرون (٥/٩).

- (١٧٤) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ / ص ٥٦٨ - ٥٦٩ .
- (١٧٥) دلائل الإعجاز/ ص ٣٩١ .
- (١٧٦) ينظر: أصالة اللسان العربي / ص ٣٢٥ .
- (١٧٧) ينظر: جرس الألفاظ/ ص ٨٢، وبلاغة الكلمة والجملة/ ص ٣٣ - ٣٤، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص ٨٩، و١٠٨، والتعبير القرآني والدلالة النفسية/ ص ٣١١ .
- (١٧٨) ينظر: نقد الشعر/ ص ٢٦ - ٢٧، و١٤١، والنقد اللغوي عند العرب/ ص ٢٩٤، وملامح من تاريخ اللغة العربية/ ص ١٩١، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص ٩١ .
- (١٧٩) ينظر: الجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص ٢١١ .
- (١٨٠) تنظر على سبيل المثال: [شَوْلَةُ الْعَمْرَانِيَّةِ / الآيات: ١٩١ - ١٩٤]، و[شَوْلَةُ مَرْكَبِيَّةٍ / الآيات: ١ - ٦] .
- (١٨١) مباحث في علوم القرآن، للصالح/ ص ٣٣٩، وينظر: ص ٣٣٧ - ٣٣٨، وينظر أيضاً: الجمل في النحو/ ص ٢٥٥، والبرهان في علوم القرآن (١/ ٦١)، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص ١٢٦ .
- (١٨٢) ينظر: الصوت اللغوي في القرآن الكريم/ ص ١٩٠، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص ٧٨ .
- (١٨٣) ينظر: الجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص ١٢٢ - ١٢٣ .
- (١٨٤) الجرس والإيقاع في التعبير القرآني/ ص ٣٣٥، وينظر: ص ٣٤٥، والعلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم/ ص ٨ .
- (١٨٥) أثر التلويينات الصوتية في الدلالة القرآنية/ ص ٣٨٢، وينظر: ص ٣٨٥، والتصوير الفني/ ص ٣٤، و٣٦ - ٣٨، و٧٨ - ٨٦، وفي ظلال القرآن (٤/ ٤٥١)، والظاهرة الجمالية في القرآن الكريم/ ص ١١٨، والإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم (١/ ٢٦٢ - ٢٦٣، و٤٠٨)، ومباحث في علوم القرآن، للصالح (٣٣٤ - ٣٣٦)، وجرس الألفاظ/ ص ٢٨، و٢٨٥، و٣١٣ .
- (١٨٦) ينظر: الكشف (٤/ ٦٠٢)، والبحر المحيط (٨/ ٣١٣ - ٣١٥)، وفي ظلال القرآن (٧/ ٣٠٩ - ٣١٠)، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص ٢٠٢ .
- (١٨٧) ينظر: الكشف (٤/ ٢٧٧، و٦٩٨)، ومفاتيح الغيب (٣١/ ٤٦ - ٤٧)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٩ - ٤١٥)، وروح المعاني (٣٠/ ٣٥)، وفي ظلال القرآن (١/ ٤٤٠ - ٤٤٨) .
- (١٨٨) ينظر: الكشف (٤/ ٧٠٥)، ومفاتيح الغيب (٣١/ ٥٦ - ٥٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤١٧ - ٤٢١)، وروح المعاني (٣٠/ ٤٨)، وفي ظلال القرآن (٧/ ٤٥١ - ٤٦٦) .
- (١٨٩) يقول رحمه الله: ((العين والقاف لا تدخلان في بناءٍ إلا حسنتاه؛ لأنهما أطلق الحروف وأضحمتها جرساً، فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناءٍ؛ حسن البناء؛ لنصاعتهما)) [العين (١/ ٥٣)] .
- (١٩٠) ينظر: الجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص ١٢٠ .

- (١٩١) الصورة الفنية في المثل القرآني/ ص٢٣٩، وينظر: المفردات في غريب القرآن (١/ ٥٣٥)، والدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم/ ص١٢٠ - ١٢١.
- (١٩٢) النقد اللغوي عند العرب/ ص٢٩٣.
- (١٩٣) بدائع الفوائد (٢/ ٤٧٤)، وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٣/ ٢٢٠)، وأصالة اللسان العربي/ ص٣٢٠.
- (١٩٤) قد يكون الصواب أن تأتي الألفاظ: (زاهياً)، و(شاحباً)، و(شفيفاً)، و(كثيفاً) ضمن السياق المذكورة فيه بالرفع لا النصب، والله أعلم!!
- (١٩٥) مباحث في علوم القرآن، للصالح (٣٣٤ - ٣٣٦)، وينظر: الكامل في اللغة والأدب (١/ ١٤٦)، والتصوير الفني/ ص٧٨ - ٨٦، والظاهرة الجمالية في القرآن الكريم/ ص١١٨، والعلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم/ ص٢٣٨.
- (١٩٦) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص٤٠٨.
- (١٩٧) ينظر: الجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٨٩، والتعبير القرآني والدلالة النفسية/ ص٣١١.
- (١٩٨) ينظر: دلائل الإعجاز/ ص٣٩١، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١/ ١٣ - ١٤).
- (١٩٩) ينظر: الجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٢٠٨، والإعجاز الصوتي في القرآن الكريم/ ص٩٢، والتعبير القرآني والدلالة النفسية/ ص٣١٩.
- (٢٠٠) ينظر: البيان والتبيين (١/ ٢٦)، والمحرم الوجيز (١/ ٤٩)، والإشارة إلى الإيجاز/ ص٧٨، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ص٢٦١ - ٢٦٦، وجرس الألفاظ/ ص٢٠٣.
- (٢٠١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١/ ٣٨٤)، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٢٠١، والتعبير القرآني والدلالة النفسية/ ص٣١١.
- (٢٠٢) ينظر: الجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٢٠٤.
- (٢٠٣) ينظر: نقد الشعر/ ص١٥، ودلائل الأعجاز/ ص٣٦٢، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٩٧، والبناء الصوتي في البيان القرآني/ ص٢٢.
- (٢٠٤) ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني/ ص٢٥١، والأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية/ ص٥٤ - ٥٥، والجهود الصوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٢١٢.
- (٢٠٥) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن (النظم القرآني - جزأته وتناسقه)، ص١٣٦ - ١٣٧، والإعجاز الصوتي في القرآن الكريم/ ص٦ - ٧، والإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ الصفحات: ٢٤٩، و٢٦٢ - ٢٦٣، و٤٧٩ - ٤٨٠.
- (٢٠٦) ينظر: دراسة الصوت اللغوي/ ص١٨٥ - ١٨٦، والتوجيه الصوتي في دراسة النحو العربي/ ص١٧ - ١٨، وسيأتي بعد قليل بيان مدلولات تلك المفاهيم اللغوية المهمة.

- (٢٠٧) ينظر: الصوت والدلالة/ ص١٤٣، ودراسة الصوت اللغوي/ ص١٩٥، والمظاهر الصوتية وأثرها في بيان مقاصد التنزيل/ ص٣-٤.
- (٢٠٨) ينظر: التنعيم ودلالته في العربية/ ص٦، والصوت والدلالة/ ص١٤٣.
- (٢٠٩) ينظر: اللغة العربية - معناها ومبناها/ ص٢٢٦، والتنعيم اللغوي في القرآن الكريم/ ص٢٧، والبحث الدلالي في تبيان الطوسي/ ص٥٠.
- (٢١٠) ينظر: كتاب سيبويه (١/٣٣٩)، ومعاني القرآن، للفراء (٢/٣٤٣)، و(٣/١٠٥)، والخصائص (٢/٣٧٢-٣٧٣).
- (٢١١) ينظر: دلائل الإعجاز/ ص٨٨-٨٩، والتنعيم اللغوي في القرآن الكريم/ ص٤٠ وما بعدها.
- (٢١٢) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد/ ص٥٦٧-٥٦٨، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص٤٢-٤٣.
- (٢١٣) ينظر: مناهج البحث في اللغة/ ص١٩٨-١٩٩، والتنعيم اللغوي في القرآن الكريم/ ص٦٣-٨٣، و١٥٧، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص٢٥-٢٦، و٤٣-٤٤.
- (٢١٤) (٢/٣١٢-٣١٣).
- (٢١٥) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص٤٠٨.
- (٢١٦) ينظر: المرجع نفسه/ ص٤٦٧-٤٦٨.

المصادر والمراجع

- ❖ القرآن الكريم.
- ❖ أثر التلوينات الصوتية في الدلالة القرآنية - دراسة تحليلية أسلوبية «أطروحة دكتوراه»: أسامة عبد العزيز جاب الله، إشراف: أ. د. محمد أحمد العمروسي / جامعة طنطا- كلية الآداب، ١٤٢٥هـ / نيسان ٢٠٠٤م.
- ❖ الإحكام في أصول الأحكام: سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي محمد الأمدي، البغدادي (ت ٦٣١هـ)، تحقيق: د. سيد الجميلي / دار الكتاب العربي (بيروت)، ط ١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ❖ الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: د. مجيد عبد الحميد ناجي / المركز العربي للدراسات والنشر (بيروت)، ط ١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ❖ الأسلوبية الصوتية في النظرية والتطبيق: أ. د. ماهر مهدي هلال / مجلة آفاق عربية - السنة (١٧)، العدد (١٢)، كانون الأول، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- ❖ أصالة اللسان العربي: د. جعفر د. الباب / موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- ❖ أصوات الحروف العربية وإيجاءاتها الحسية والشعورية: د. حسن عباس / موقع أتحاد الكُتّاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ❖ الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: أ. د. محمد محمد داود / عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- ❖ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (ت ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م)، مراجعة وضبط: محمد سعيد العريان / المكتبة التجارية الكبرى بمصر (القاهرة)، ط ٨، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م.
- ❖ الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: علي بن نايف الشحود / موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- ❖ أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء: قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (ت ٩٧٨هـ)، تحقيق: يحيى حسن مراد / دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- ❖ الإيجاء الصوتي في تعبير القرآن: أ. د. كاصد ياسر حسين الزيدي (ت ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)، بحث منشور في مجلة العرب (الرياض)، العدد (٦٥)، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.
- ❖ البحث الدلالي في «إرشاد العقل السليم»، لأبي السعود العمادي (ت ٩٨٢هـ)، «أطروحة دكتوراه»: زينب عبد الحسين بلال السلطاني، إشراف: أ. د. كريم حسين ناصح الخالدي / جامعة بغداد - كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ❖ البحث الدلالي في «التيبان في تفسير القرآن»، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، «أطروحة دكتوراه»: أبتها كاصد ياسر حسين الزيدي، إشراف: أ. م. د. علي جميل السامرائي / جامعة بغداد - كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

- ❖ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، مراجعة: صدقي محمد جميل / دار الفكر (بيروت)، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ❖ بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، وعادل عبد الحميد العدوي / مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة)، ط ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ❖ البرهان في علوم القرآن: الإمام أبو عبد الله بدر الدين محمد بن محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تقديم وتعليق: مصطفى عبد القادر عطا / دار الفكر (بيروت)، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- ❖ بلاغة الكلمة والجملة: د. منير سلطان / دار المعارف (الإسكندرية)، ط ١ / ١٩٧٧م.
- ❖ البنى والدلالات في لغة القصص القرآني - دراسة فنية «أطروحة دكتوراه»: عماد عبد يحيى، إشراف: أ. م. د. عبد الوهاب محمد علي العدواني / جامعة الموصل - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ❖ البناء الصوتي في البيان القرآني: د. محمد حسن شرشر / دار الطباعة المحمدية (القاهرة)، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ❖ البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون / مكتبة الخانجي (القاهرة)، ط ٧، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ❖ تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، دار الفكر (بيروت)، (ب. ت.).
- ❖ التصريف الملوكي: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، النحوي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد سعيد بن مصطفى النعسان، تعليق: أحمد الخاني، ومحيي الدين الجراح / دار المعارف (دمشق)، ط ٢، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- ❖ التصوير الفني في القرآن: الإمام الشهيد سيد قطب بن إبراهيم حسين بن شاذلي (ت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م)، دار المعارف (القاهرة)، (ب. ت.).
- ❖ التعبير القرآني والدلالة النفسية «أطروحة دكتوراه»: عبد الله محمد طلب الجيوسي، إشراف: أ. د. عبد القهار العاني / الجامعة الإسلامية العالمية (ماليزيا)، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، دار الغوثاني للدراسات القرآنية (دمشق)، ط ٢، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ❖ التعريفات: أبو الحسن علي بن محمد بن علي، الحسيني، الحنفي، المعروف بـ«الشريف الجرجاني»، (ت ٨١٦هـ)، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ❖ التفسير والمفسرون: أ. د. محمد حسين الذهبي (ت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م)، دار القلم (بيروت)، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

- ❖ التنعيم اللغوي في القرآن الكريم: د. سمير إبراهيم وحيد العزاوي/ دار الضياء (عمّان)، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ❖ التنعيم ودلالته في العربية: يوسف عبد الله الجوارنة/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- ❖ التوجيه الصوتي في دراسة النحو العربي «علامات الإعراب والبناء أمموزجاً»، «أطروحة دكتوراه»: عقيل رحيم علي اللامي، إشراف: أ. د. محمد ضاري حمادي/ جامعة بغداد - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- ❖ التوقيف على مُهمّات التعاريف: زين الدين محمد عبد الرؤوف المأوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية/ دار الفكر (دمشق)، ط ١/ ١٤١٠هـ.
- ❖ جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: أ. د. ماهر مهدي هلال/ دار الحرية للطباعة (بغداد)، ط ١/ ١٩٨٠م.
- ❖ الجرس والإيقاع في التعبير القرآني: أ. د. كاصد ياسر حسين الزبيدي (ت ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، مجلة آداب الرافدين، العدد (٩)، ١٣٩٨هـ/ أيلول ١٩٧٨م.
- ❖ الجهود الصوّتية في كتب البلاغة العربية من القرن الثالث حتى القرن السابع الهجري «أطروحة دكتوراه»: حسن أحمد مهاوش العزاوي، إشراف: أ. د. أحمد شاکر غضيب/ جامعة بغداد - كلية التربية ابن رشد (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ❖ الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، تحقيق: أ. د. مازن المبارك/ دار الفكر المعاصر (بيروت)، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- ❖ الحرف العربي بين الأصالة والحداثة: د. حسن عباس/ موقع أتحاد الكُتّاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، (ب. ت).
- ❖ الحرف العربي والشخصية العربية: د. حسن عباس/ موقع أتحاد الكُتّاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- ❖ الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنيّ الموصلي، النحوي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي النجّار/ دار الكتب (القاهرة)، ١٣٧١هـ.
- ❖ خصائص الحروف العربية ومعانيها: د. حسن عباس/ موقع أتحاد الكُتّاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- ❖ الدراسات الصوّتية عند علماء التجويد: د. غانم قدّوري الحمد/ مطبعة الخلود (بغداد)، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- ❖ دراسة الصوت اللغوي: أ. د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م)، عالم الكتب (القاهرة)، ط ١، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- ❖ دلائل الإعجاز: شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: د. محمد التنجي / دار الكتاب العربي (بيروت)، ط ١ / ١٩٩٥م.
- ❖ دلالة الألفاظ: أ. د. إبراهيم أنيس / مطبعة أبناء وهبة حسّان (القاهرة)، ١٩٧٧م.
- ❖ الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم «أطروحة دكتوراه»: محمد جعفر محسن العارضي، إشراف: أ. م. د. حاكم مالك لعبي الزيّادي / جامعة القادسية - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الشهير بـ«تفسير الألووسي»: أبو الثناء الألووسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط ٢، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ❖ سرّ الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ❖ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: قاضي القضاة بهاء الدين بن عقيل العقيلي، الهمداني، المصري (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد / دار التراث (القاهرة)، ط ٢٠، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- ❖ الشفاء: الفيلسوف الرئيس شرف الملك أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البلخي (ت ٤٢٨هـ)، تحقيق: محمود الخضير / دار الكتاب العربي (القاهرة)، (ب. ت).
- ❖ الصّحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي (ت ٣٩٣هـ) - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار / دار العلم للملايين (بيروت)، ط ٢، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ❖ الصوت اللغوي في القرآن الكريم: أ. د. محمد حسين علي الصغير / دار المؤرخ العربي (بيروت)، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ❖ الصوت والدلالة - دراسة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث: د. محمد بوعمامة / موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- ❖ الصورة الفنية في المثل القرآني - دراسة نقدية بلاغية: أ. د. محمد حسين علي الصغير / دار الرشيد (بغداد)، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ❖ العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم «رسالة ماجستير»: آلان سمين مجيد زناينة، إشراف: أ. د. كاصد ياسر حسين الزبيدي / جامعة بغداد - كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، رجب ١٤٢٣هـ / أيلول ٢٠٠٢م.
- ❖ علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي: د. منقور عبد الجليل / موقع اتحاد الكُتّاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

- ❖ علم اللغة العربية - مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية: أ. د. محمود فهمي حجازي / دار غريب (القاهرة)، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ❖ العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، الأزدي، اليماني (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: أ. د. مهدي المخزومي، أ. د. إبراهيم السامرائي / دار الرشيد (بغداد)، ١٩٨٠ - ١٩٨٢م.
- ❖ فقه اللغة وخصائص العربية: أ. د. محمد المبارك / دار الفكر الحديث (بيروت)، ط ٢ / ١٩٦٤م.
- ❖ الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية: جرجي بن حبيب زيدان اللبناني (ت ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م)، مراجعة وتعليق: د. مراد كامل / دار الحدائق (بيروت)، ط ٢، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ❖ في ظلال القرآن: الإمام الشهيد سيد قطب بن إبراهيم حسين بن شاذلي (ت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م)، دار الشروق (بيروت)، (القاهرة)، ط ١٧، ١٤١٢هـ.
- ❖ في فلسفة اللغة: كمال الحاج / دار النهار (بيروت)، ط ٢، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م.
- ❖ قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل: تأملات الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني / دار القلم (دمشق)، والدار الشامية (بيروت)، ط ٤، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- ❖ الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي، الأزدي، المعروف بـ«المبرد»، (ت ٢٨٦هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم / دار الفكر العربي (القاهرة)، ط ٣، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ❖ كتاب سيبويه: أبو البشر عمرو بن عثمان، الملقب بـ«سيبويه»، (ت ١٨٠هـ)، طبعة بولاق (القاهرة)، ١٣١٧هـ.
- ❖ الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الشهير بـ«تفسير الزمخشري»: أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار المعرفة (بيروت)، ط ٣، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.
- ❖ الكليات (معجم الفروق والمصطلحات اللغوية): أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، القريني، الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري / مؤسسة الرسالة (بيروت)، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- ❖ لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، الإفريقي، المصري (ت ٧١١هـ)، دار الفكر (بيروت)، ط ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ❖ اللغة: الأستاذ جوزيف فندريس (Joseph Vendryes)، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، د. محمد القصاص / مطبعة لجنة البيان العربي (القاهرة)، ١٩٥٠م.
- ❖ اللغة العربية - معناها ومبناها: أ. د. تمام حسّان / الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ❖ اللغة العربية ومكانتها بين اللغات: أ. د. فرحان السليم / موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

- ❖ اللهجات العربية في القراءات القرآنية: أ. د. عبده الراجحي / دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية)، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- ❖ مباحث في إعجاز القرآن: أ. د. مصطفى مسلم / دار القلم (دمشق)، ط ١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ❖ مباحث في علم اللغة واللسانيات: أ. د. رشيد عبد الرحمن العبيدي / دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ❖ مباحث في علوم القرآن: أ. د. صبحي الصالح (ت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، دار العلم للملايين (بيروت)، ط ١٨، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ❖ مبادئ اللسانيات: أحمد قذورة / دار الفكر (دمشق)، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- ❖ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: أ. د. مهدي المخزومي / مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة)، ط ٢، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م.
- ❖ المظاهر الصوتية وأثرها في بيان مقاصد التنزيل: بحث أعدّه الطيب دبة / موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- ❖ معاني الحروف العربية على واقع المعاجم اللغوية: د. حسن عباس / موقع أتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ❖ المعجم العربي - نشأته وتطوره «أصله أطروحة دكتوراه»: د. حسين نصّار / دار الرائد العربي (بيروت)، ط ١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ❖ مفاتيح الغيب، الشهير بـ«تفسير الفخر الرازي»، أو«التفسير الكبير»: أبو عبد الله فخر الدين بن الخطيب بن محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن التيمي، البكري، الملقب بـ«فخر الدين الرازي»، (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ❖ المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي / دار القلم (دمشق)، والدار الشامية (بيروت)، ط ٤، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.
- ❖ مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون / دار الفكر (بيروت)، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ❖ مقدّمة لدرس لغة العرب: الأستاذ عبد الله العلابي، تحقيق: د. أسعد علي / مكتبة التراث الإسلامي (القاهرة)، ط ١ / ١٩٦٨م.
- ❖ ملامح من تاريخ اللغة العربية: أ. د. أحمد نصيف الجنابي / دار الرشيد (بغداد)، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ❖ مناهج البحث في اللغة: أ. د. تمام حسّان / دار الثقافة (الدار البيضاء - المغرب)، ط ٢، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ❖ مناهل العرفان في علوم القرآن: الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م)، تحقيق: الشيخ سليم الكردي / دار إحياء التراث العربي (بيروت)، (ب. ت).

- ❖ **منطق المشرقين:** الفيلسوف الرئيس شرف الملك أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البلخي (ت ٤٢٨هـ)، دار الحداثة (بيروت)، ط ١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ❖ **المنهج الصوتي للبنية العربية - رؤية جديدة في الصرف العربي:** أ. د. عبد الصبور شاهين / مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- ❖ **النشر في القراءات العشر:** شمس الدين بن الجزري الدمشقي، الشافعي (ت ٨٣٣هـ)، إشراف وتصحيح ومراجعة: الشيخ علي محمد الضباع / المكتب المصري الحديث، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر (القاهرة)، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- ❖ **نظريات في اللغة:** د. أنيس فريحة / دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ط ٢، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ❖ **نقد الشعر:** أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت ٣٣٧هـ) تحقيق: كمال الدين مصطفى / مكتبة الخانني (القاهرة)، ط ١، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- ❖ **النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري:** أ. د. نعمة رحيم العزاوي / دار الحرية (بغداد)، ط ١، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

